حراء

مجلة علمية ثقافية أدبية

www.hiragate.com

دورية تصدر كل شهرين

السنة السادسة عشرة / (نوفمبر - ديسمبر) ٢٠٢٠

81

Hira Magazine | Knowledge - Cultural - Literary | November - December 2020

العروج

إذا ما كنت للعلياء تصبو
سبيلك في عروج الروح قلب
به وصل الرجال وكل من لم
يجد في الحق غايته سيكبو

***

٢ الإنسان في معارج الفكر
فتح الله كولن

٥ كيف تجنِّب طفلك الخجل؟
د. سعيد عبيدي

٣٧ الضغوط الحياتية وآثارها التدميرية/ **أ.د. هبة مهران**

معارج القبول

العروج ومعارج الفكر هو أول ما يلقانا في هذا العدد، عروج إلى العلياء في الغلاف، وتدرج في معارج الروح في السلوك الإنساني إلى أن يبلغ الإنسان مرتبة الألطاف الخفية في رحلة حياته المليئة بالأسرار، كما نبه إلى ذلك الأستاذ فتح الله كولن في مقاله الرئيس.

وفي خضم هذه الرحلة يجب أن تزال العوائق من أمامه طفلاً بتخليصه من الخلل السلوكي الذي يعوق نموه كالخجل وغيره من السلوكيات السلبية كما أوصى سعيد عبيدي في مقاله "كيف نعالج خجل أطفالنا؟"، وباكتشاف قدراته الكامنة كما شرح محمد سخاوت ممادوف، أو بتخليصه مما يهوي به إلى مهاو سحيقة كبريق الذهب الذي تابعه محمد سلمان المندعي في "رحلة الإنسان مع بريق الذهب".

وإذا انتهت التخلية وجبت التحلية، تحلية الروح بفن الرقش وجمالياته لخلف أحمد أبو زيد، أو بالبحث عن الجمال في أي مكان كما فعل فريد الأنصاري في شعر الهايكو الياباني، حسبما أوضح لحسن الملواني في مقاله: "النفخة الروحية في ديوان الإشارات"، أو بتوظيف الفن الهادف في منظومة التوجيه، كما اقترح عبد الحميد محمد الراوي في "المسرح بين الواقع والمأمول".

ولا شك أن البرزخ الفاصل بين التخلية والتحلية يستدعي دعوة النفس إلى التوبة كما أبدع أيمن العوامري في شعره، والتفكر في الأنفس من خلال اكتشاف عظمة الله في إبداع عضلة القلب كما صورها محمد السقا عيد، أو إعجاز الخالق في تصميم اليد البشرية في مقال بركات محمد مراد، هذا إلى جانب تبيان أهمية القيم وضوابط غرسها، والتصدي لضغوط الحياة وآثارها التدميرية سواء أكانت نفسية كما أوضحت هبة مهران، أو اقتصادية نتيجة جائحة كورونا كما اقترح عبد القادر جابر.

وإذا كان لا بد من الاعتبار بالأمم الغابرة كيف شادوا وكيف عمروا الأرض، فالوكالات الأثرية لناصر سنه سترشدك إلى طرف من ذلك، كما سيرشدك أيضا أحمد بسيوني عبد الرؤوف إلى الأبجديات المنهجية في الدراسات التراثية المعاصرة، ويذهب بك جمال بن فضل الحوشبي في مقاله "اللاجئون" ليطوف بك في عالم الصحابة المليء بالدروس والعبر التي تنير دربنا في رحلة العروج الحياتية المليئة بالأسرار والخفايا. ■

المحتويات

الإنسان في معارج الفكر / فتح الله كولن (المقال الرئيس)	٢
كيف تجنّب طفلك الخجلَ؟ / د. سعيد عبيدي (تربية)	٥
رحلة الإنسان مع بريق الذهب / محمد سلمان المندعي (علوم)	٩
البعد الروحي في فن الرقش / خلف أحمد أبو زيد (ثقافة وفن)	١٣
النفحة الروحية في ديوان الإشارات / لحسن ملواني (أدب)	١٧
الوكالات الأثرية / د. ناصر أحمد سنه (تاريخ وحضارة)	٢١
المسرح بين الواقع والمأمول / عبد الحميد محمد الراوي (ثقافة وفن)	٢٥
أبجديات منهجية غائبة في الدراسات التراثية المعاصرة / أحمد بسيوني عبد الرؤوف (قضايا فكرية)	٢٩
اللاجئون / د. جمال بن فضل الحوشبي (قضايا فكرية)	٣٢
الضغوط الحياتية وآثارها التدميرية / أ.د. هبة مهران (علوم)	٣٧
يا نفس توبي / أيمن العوامري (شعر)	٣٩
أهمية القيم وضوابط غرسها / يوسف عكراس (قضايا فكرية)	٤٠
جائحة كورونا وآثارها الاقتصادية / عبد القادر جابر (قضايا فكرية)	٤٤
نبض الحياة / د. محمد السقا عيد (علوم)	٤٧
من أجل تلق علمي بنَّاء / سعيد سهمي (علوم)	٥١
اليد البشرية / د. بركات محمد مراد (علوم)	٥٤
البيئة النظيفة حق للبشر والكائنات / د. إسماعيل عبد الكافي (ثقافة وفن)	٥٨
اِكتشف موهبة طفلك / د. سخاوت مامادوف (تربية)	٦١

الإنسان في معارج الفكر

إن الإنسان كائن يتشكل وفقَ عالمه الفكري، وفي نهاية المطاف يأخذ الكيفية التي يفكر بها على حسب استعداده ومواهبه. وإذا استمر في النظر إلى الأشياء والأحداث من منظور معين، فإن طبيعته وماهيته الروحية أيضًا سيتشكلان تدريجيًّا وفقًا لذلك الخط الفكري.

إن للفكر والنيةِ والشوقِ القوي تأثيرًا على انكشاف مواهب الإنسان الكامنة في ذاته، ولها تأثير بالغ في تطوير تلك المواهب، مثل تأثير التربة والهواء والمطر والشمس على نمو الحياة على وجه الأرض.

إن الجِنان التي يتم إنشاؤها في روح الإنسان بالأفكار الطيبة والنوايا الحسنة تتوسع بمرور الوقت إلى أن تحيط بالعالَم كله وتُحوِّلَ سائر الأماكن وجميعَ القلوب إلى حدائقِ إرَم.

فكما أن للتربة والهواء والماء والعناصر دورًا مباشرًا -في دائرة الأسباب- على نمو البذرة، فكذلك الأفكار والنيات أيضًا، لها تأثير على نمو الأخلاق الحميدة والطبائع السامية في الإنسان.

وكما تنفلق الأعشاب والأشجار من البذور، وتفقس الطيور والعصافير من البيوض، فإن أصحاب الأرواح العالية والشخصيات الكاملة، هم أيضًا نتائج للأفكار القيِّمة والنوايا النظيفة.

إن الفكر بذرةٌ، وأعمالُنا براعمُها، وأفراحُنا وأحزاننا ثمارها. "وإن من ينظر بعين الجمال فسيفكر جميلاً"، ومن يفكر جميلاً فسيجعل ما في نفسه من بذور الخيرات تنمو وتزدهر، وسيعيش في الجنان التي أنشأها في دواخله.

أما أصحاب الأرواح المظلمة، الذين يشْكُون من كل أحد، ويتذمرون من كلِّ شيء، وينظرون إلى ما حولهم عبر النوافذ الحالكة المنفتحة من العوالم المظلمة التي طوروها في أرواحهم، فليس لهم أن يشاهدوا الخير أبدًا، ولا أن يفكروا بالجميل ويستمتعوا بحياتهم. وحتى لو دخل هؤلاء الجنة، فإنهم سيندبون هناك أيضًا بمراثي الجحيم، ويتنادون مع الزبانية، ويعيشون دائمًا في عالم أرواحهم المظلمة حياةَ الويل والثبور.

والحال أن الإنسان خُلق على أن يكون خليفة للخالق، ويُحرِزَ موقع السيادة على كل شيء. وبالتالي فإنه حينما أُرسل إلى العالم بمثل هذه المهمة السامية، قد جَلب معه أيضًا كلَّ الأوصاف والمزايا التي تتطلبها هذه الحظوة العالية على شكل بذور.

وأما اكتسابه طبيعة سامية وإحرازُه كينونة ثانية، ثم حفاظُه على ذاتيته، فمنوط بمواصلته على التفكير المنتظم، والكدح المستمر، والتعمق المتواصل في مسيرة حياته القلبية والروحية من دون فتور وانقطاع. كما أن اكتسابه طبيعة سيئة، منوطٌ أيضًا -بطبيعة الحال- بأفكاره السيئة القبيحة.

إن الله منح الإنسان قوة الإرادة، ومواهبَ أوليةً يستطيع من خلالها تحصيل الأخلاق الحميدة والطبائع السليمة، وإذا لم يَستخدِم تلك الإرادةَ والمواهبَ في سبيل إعادة بناء ذاته طبقًا للأوامر الإلهية، فإنه -ناهيك عن الحفاظ على ذاتيته- سيفسد ويكون عرضة للضياع.

فهو أمام خيارين: إما أن يجهز في مصنعه المتشكلِ من أفكاره ونواياه الذاتيةِ، ما يحتاج إليها من الوسائل التي تساعده على تحقيق سلامته وسعادته في حياته الدنيوية والأخروية، وإما أن يُنتج في المَصنِع نفسِه أسلحةً يدمّر بها نفسَه والمجتمعَ الذي يعيش فيه.

إن الجِنان التي يتم إنشاؤها في روح الإنسان بالأفكار الطيبة والنوايا الحسنة تتوسع بمرور الوقت إلى أن تحيط بالعالَم كله وتُحوّلَ سائر الأماكن وجميعَ القلوب إلى حدائقِ إرَم. كما أن الأفكار السيئة، والنوايا الشريرة تُجرّع الإنسان قيحًا وصديدًا حتى ولو كانت في بحبوحة الجِنان.

نعم، إن الوحشية والملائكية كلاهما توجَدان في الروح البشرية على شكل بذور، وتتحولان بالتدريب والتمرين إلى قناعات راسخة، ثم يأتي يوم يصبح كل منهما كفيضان يتغلب على كل

العقبات ويصل إلى الهدف المنشود.

فالصعود إلى ما وراء السماوات، وكذلك السقوط من الأعالي إلى أعماق المستنقعات، قد أُودِعا في الإنسان في سِرّيّة مناسِبة لروح الامتحان والاختبار.

فهناك من يستغل الفُرصَ التي يجلبها له القدر، ويستعينُ بالقدرة اللانهائية ليصل إلى مستويات يتعذر على الآخرين بلوغُها، بينما هنالك تعساء لا يتسنى لهم استغلال تلك الفرص ولا الاستعانةُ بالقدرة الإلهية، ولا يملكون في نهاية المطاف شيئًا سوى البكاء على حظهم ومصيرهم الوخيم.

وربما يكون من الممكن أن يدور النقاش حول حدود الإرادة البشرية، ومدى سعتها أو ضيقها. ولكن الأمر الذي لن يدور النقاش حوله قطعًا، هو أن كون الإنسان مخاطَبًا للخالق العظيم، وتكليفَه تعالى إياه ببعض التكاليف والمسؤوليات، وضبطَ الإنسان لمشاعره وأفكاره مع تحفيزه لروحه وإنعاشه لقلبه، وكذا إعادته لبناء ذاته في قالب جديد.. كل ذلك أعظم هدية من الخالق الذي يدعم إرادتنا بإرادته، ويدفع عجزنا بقوته، ويعيننا بثروته.

نعم، إن الإنسان عاجز في ذاته لكنه قوي للغاية بقوة الخالق، وقدراتُه محدودة لكنه غنيٌّ بكنوزه تعالى، ومداركُه محدودة لكنها واسعة بأنواره أوامره النيرة، وعمره قصير لكنه مرشح للخلود بنواياه وأفكاره الخالدة.

إنه يحمل معه مفاتيح كل كنوز الخيرات، وبالطبع كل الشرور أيضًا. ومن هذا المنطلق فإنه -حتى في أكثر حالاته التي يحس فيها بالوحدة والضعف- لا يَفقد أبدًا قدرته على إدارة نفسه ورعاية ذاته.

بل إنه يستخدم إرادته كمفتاح في التفكير حول الظروف المحيطة به، واستكشاف القوانين المتعلقة بوجوده وبقائه.

ومن خلال تعرُّفه على المسالك التي فتحها بهذا المفتاح يقطع المسافات بشكل متواصل، وفي أثناء مسيرته تلك يكتشف دوامات النفس البشرية وينجح في التخلص منها. ويواصل تحليل روحه حتى يكتشف أسرار الأنا، وبهذه الطريقة تبدأ أفكارُ الخير والجمال والفضيلة تنمو في ذاته وتتطور.

وكما يتم فصل الذهب والماس عن التراب والأحجار من خلال الخضوع لعملية مضنية، فكذلك الأرواح الذهبية والألماسية لن تجد فرصة الانكشاف بجوهرها، ولن تتمكن ما فيها من بذور الخير من النمو، إلا بهذه الجهود الجبارة والهمم العالية.

إن الذي يفكر ويخطط طوال عمره ليكون "إنسانًا" ويبحث دائمًا عن روحه وذاته، سيصبح يومًا ما "إنسانًا" ويتكامل مع روحه.

"فمن طلب وجد، ومن أصرّ على قرع الأبواب فستنفتح له لا محالة"، فهذا قانون رباني. وبمقتضى هذا القانون؛ من أراد الوصول إلى سماء الإنسانية فإنه يحتاج إلى نية طيبة، وتفكيرٍ منهجي، وعزيمةٍ راسخة لا تتزعزع، وجهدٍ متواصل.

وقد تَلَقَّى "الإنسان" الدعم الأوَّلي في هذا الباب قبل أن يأتي إلى هذا العالَم، كما أنه وُعِد بما سيتلقاه من الدعم في المراحل التالية.

فليس عليه لدى سلوكه في رحلة هذه الحياة المليئة بالأسرار، إلا أن يتدرج في المعارج الحلزونية التي سيجد ألطافًا خفية في كل منعطف من منعطفاتها. ■

(*) نشر هذا المقال في مجلة "سيزنتي" التركية، العدد:٧١ (ديسمبر ١٩٨٤)، تحت عنوان "Düşünce Helezonunda İnsan". الترجمة عن التركية: أجير أشيوك.

د. سعيد عبيدي*

كيف تجنِّب طفلك الخجلَ؟

يعتبر الخجل من الاضطرابات الشائعة لدى الأطفال، فهو ينطوي على خلل وتعطيل في قدرة الطفل على التفاعل الاجتماعي والتواصل مع الآخرين. فالخجل بمثابة إعاقة تتبدى بفشل الطفل في التعبير عن مكنوناته وحاجياته، كما تظهر فشله في تكوين العلاقات مع أقرانه من نفس العمر، أو حتى توليد الميل أو الرغبة لديه في تشكيل علاقات الصداقة أو الانشغال في هذه العلاقات.. ومثل هذا الاضطراب لا يرتبط بأنماط السلوك اللفظي فقط، وإنما يتعدى ذلك ليشمل أنماط السلوك غير اللفظي.

ويُعرف الخجل على أنه "انكماش الولد وانطواؤه وتجافيه عن ملاقاة الآخرين"، كما يعرف أيضًا بكونه "درجة عالية من الارتباك والخوف والانكماش، يشعر بها الطفل حين يلتقي بأشخاص من خارج محيطه".. فهو -إذن- حالة نفسية "تتجلى في الميل إلى الصمت والتباطؤ في الكلام والحياء الزائد، وتجنب الآخرين والابتعاد عن الأضرار قدر الإمكان.

فالطفل الخجول على هذا الأساس، هو طفل يميل إلى تجنب التفاعل الاجتماعي وعدم مشاركة الآخرين في المواقف الاجتماعية، والتوجه نحو الانطواء بصورة مباشرة وغير مباشرة، مما يولد نقصًا في مهاراته وضعفًا في ثقته بنفسه.. لذلك نرى الطفل الخجول حين يتفاعل، منخفض الصوت لا يتواصل بصريًّا مع الآخرين، محمر الوجه، متلعثمًا في الكلام.

إن الطفل الخجول، يعاني من عدم القدرة على الأخذ والعطاء مع زملائه في المدرسة والمجتمع، ومن صفاته أنه طفل يشعر بالنقص والانزواء وكثرة الهواجس والمخاوف، لذا يلاحَظ أنه حساس، وعصبي، وقلق، ويعاني من عدم الثقة بالنفس، ومن الآلام والتقوقع والخوف من نظرات الآخرين ونقدهم له.

ومن أهم أضرار الخجل على الطفل، أنه يمنعه من الاندماج في الحياة؛ إذ الطفل الخجول يكون عديم القدرة على الاشتراك في اللعب مع زملائه، وكذلك في مشاريعهم ونشاطهم.. ويتسم سلوكه بالجمود والخمول في وسطه المدرسي وتجنب الاتصال بالأطفال الآخرين، حيث لا يرتبط في صداقات دائمة، بل يبتعد عن كل طفل أو شخص يوجه له لومًا أو نقدًا. ومن هنا يتسم الطفل الخجول بمحدودية الخبرة والدراية، مما يجعله عالة على نفسه وعالة على أسرته ومجتمعه؛ لبعده عن الآخرين وانطوائه وانزوائه عن نفسه. وبإيجاز يتزايد الخجل الشديد والعزلة عند بعض الأطفال، بدرجة تعوقهم عن التفاعل الاجتماعي، وتحرمهم من فرص النمو والتعبير عن الذات.

أسباب الخجل لدى الأطفال

أما عن العوامل المسببة للخجل لدى الأطفال، فقد أكد الدارسون على أنها كثيرة ومتنوعة، من أهمها ما يلي:

أ-البيئة الأسرية التي يعيش فيها الطفل: لا شك أن الجو الأسري السائد في الأسرة، له تأثير فعال على سلوك الطفل واتجاهاته نحو المواقف الاجتماعية. لذا فالطفل الذي ينشأ في جو أسري يتسم بالهدوء والدفء والتقبل، يغلب عليه الشعور بالأمن النفسي في سلوكياته ومشاعره، أما الجو الأسري المشحون بالتوتر والصراعات والمشاحنات، فإنه يكون سببًا في وجود طفل يعاني من المشكلات النفسية ومنها الخجل؛ حيث يعتريه الشعور بعدم الأمن ونقص الثقة بالذات حيال التعرض للمواقف الاجتماعية مع الآخرين. ولهذا نجد الأطفال الخجولين غالبًا

الخجل هو عبارة عن اضطراب سلوكي مكتسب لا يولد بالضرورة مع الطفل، لكن إذا استبد بالطفل، فإنه يعصب عينيه عن حقيقة قدراته، ويجعله أشد الناس تحقيرًا لذاته.

مشغولين بتوفير الأمن لأنفسهم، وتجنب الإحراج والارتباك في المواقف المختلفة.. ولهذا تكون ثقتهم بأنفسهم ضعيفة، تجعلهم يعانون من نقص المهارات الاجتماعية، وبالتالي يميل الطفل الخجول إلى مصاحبة الخجولين مثله، لأنه يجد الراحة معهم والتي تجنبه الإحراج والسخرية.

ب–الجنس والترتيب الميلادي: أشارت بعض الدراسات إلى أن الطفل الوحيد بين عدة أخوات، والذي يدلل تدليلاً لا شعوريًّا، يوقعه في الخجل والانزواء، كما أن الطفل الذي ينشأ في أسرة ليس فيها شقيقات، يعاني من الخجل الشديد؛ وذلك لعدم معرفته بكيفية التعامل مع أفراد الجنس الآخر. والعكس صحيح كذلك بالنسبة للطفلة التي تنشأ بدون أشقاء.

جـ–الانتقاد والتهديد: ذلك أن الآباء الذين ينتقدون أطفالهم مباشرة وعلانية، يخلقون في نفوسهم مشاعر الخوف من الراشدين، لذلك يصبح الأطفال خجولين ومتمردين، ضف إلى ذلك التهديد الذي ينشئ شعورًا من الدونية لدى الطفل، يدفعه إلى الانزواء والخجل.

د–الإعاقة الجسمية: هناك بعض الأطفال يعانون من الخجل بسبب وجود عاهات أو تشوهات خلقية بارزة، ومن هذه التشوهات ضعف البصر أو صعوبة السمع أو التأتأة في الكلام أو الشلل الجزئي أو العرج أو السمنة أو طول القامة الزائدة.. فمثل هذه الإعاقات تجعل الأطفال مختلفين عن غيرهم، مما يجعلهم حساسين جدًّا، يتجنبون الآخرين خشية التحديق بهم أو الحديث عنهم.

هـ–الافتقار إلى الشعور بالأمن: ذلك أن الطفل حتى يخالط الناس بشكل طبيعي، يحتاج إلى قدر جيد من الشعور بأنه مأمن ومحترم وقادر على تحقيق الفوز والنجاح.. فإذا فقد هذه المعاني أو بعضها، سيطرت عليه مشاعر الخوف من الانكسار والهزيمة، وصار يشعر بأن العزلة تشكل له الحماية التي ينشدها.

أشكال الخجل عند الطفل

وفي هذا المقام أيضًا، لا بد أن نشير إلى أن الخجل يتخذ عدة أشكال عند الأطفال كما أورد الباحث زكريا الشربيني في كتابه "المشكلات النفسية عند الأطفال"، منها خجل مخالطة الآخرين، وخجل الحديث، وخجل الاجتماعات، وخجل المظهر، وخجل التفاعل مع الكبار، وخجل حضور الحفلات والمناسبات.

من هنا نلاحظ أن الطفل الذي يتملكه الخجل، يعيش حياة مضطربة لتسوء سيرته فيفقد الثقة بنفسه، إلى أن يصبح مشلول الإرادة والتفكير الهادئ، فيقع بذلك في دوامة من البلبلة والقلق، باعتبار أن الإنسان –كما هو معروف– كائن اجتماعي مسؤول عن سلوكه الخاص والعام يتطلب منه أن يكون حسن المعاشرة، طيب التعامل مع أبناء بيئته أو محيطه.. ولكن المصاب باضطراب الخجل، يصبح إنسانًا ناقص القدرة على التكيف والانسجام مع نفسه ومع محيطه الذي يعيش فيه.

إذن، الخجل حالة مرضية إذا أصبحت نمطًا ثابتًا في سلوك الطفل، فإن تأثيراتها ستكون خطيرة على شخصيته

وتوافقه النفسي والاجتماعي، وبالتالي ستسبب له تأثيرات جانبية يمكن سردها فيما يلي:

١- إن الخجل إذا أصبح مستمرًّا وثابتًا، يؤدي إلى حالة من الجبن العام، وبذلك يجعل الطفل مترددًا في القيام بأي شيء جديد أو غريب، وبالتالي يصير الطفل الخجول إلى مستوى أدنى من مستوى إمكانياته الفعلية.

٢- إن الخجل يقلل من أنشطة الطفل الجماعية، كما يقلل من شعبيته فيبدو في نظر الآخرين بليدًا ومنكمشًا وجبانًا.

٣- إن الطفل الخجول يصعب عليه أن يقوم بدور القيادة لمجموعة ما أو مهمة ما، وذلك بسبب عدم قدرته على الاتصال بصورة فعالة صحيحة مع الآخرين؛ فهو يخاف التحدث إلى الآخرين وهم لا يتحدثون معه، وهذا يشجع على الانطواء والانزواء.

٤- إن الطفل الخجول -حسب رأي الصحة النفسية- لديه حساسية مبالغ بها تجاه النفس وما يحدث لها، بحيث يكون محور الاهتمام والتركيز لديه، هو مدى تأثيره في الآخرين وكذلك نظرة الآخرين له.. وبهذا التركيز على النفس الداخلية ومشاعر النقص والارتباك الذي يحدث له بحضور الآخرين أو عند التعامل معهم، فإن المصاب بالخجل يفقد القدرة على الاهتمام بنفسه، والتركيز فقط على الآخرين والشعور بمشاعرهم، وبالتالي يزداد العزل الاجتماعي والصمت الذي يعاني منه.

من كل ما سبق، يتضح لنا أن الخجل هو عبارة عن اضطراب سلوكي مكتسب لا يولد بالضرورة مع الطفل، لكن إذا ما أصابه فإنه يعوقه عن مواجهة الحياة، ويجعله منطويًا على نفسه، عزوفًا عن الناس لا يجرؤ على معاشرتهم ومخالطتهم، كثير التردد والتهيب والارتباك.. فالخجل إذا ما استبد بالطفل، فإنه يعصب عينيه عن حقيقة قدراته، ويجعله أشد الناس تحقيرًا لذاته.. فهو أشبه بحجاب كثيف يخفي وراءه الخوف وعدم الثقة بالنفس، لذلك نجد الطفل المصاب به متعثر الخطى مستنزف الطاقة، مشتت الذهن، تقلقه نظرات الناس إليه، ولا يشغله إلا رأيهم به.. ولهذا كله وجب علاجه.

علاج الخجل لدى الأطفال

أول خطوات علاج الخجل عند الأطفال، تبدأ بتوفير جو هادئ في البيت، وتجنب القسوة في المعاملة، والابتعاد عن المشاحنات التي تكون بين الوالدين.. فالأسرة يجب أن تكون نموذجًا اجتماعيًّا، لأن الأطفال يتعلمون من ملاحظة سلوكيات آبائهم وأمهاتهم، وممن حولهم من أفراد الأسرة.. كما ينبغي على الأم إخفاء قلقها الزائد ولهفتها على طفلها، وأن تتيح له الفرصة ليعتمد على نفسه في مواجهة الحياة والالتقاء بأبناء جيله.. كما يتوجب عليها مساعدة طفلها على ممارسة التفاعل مع الآخرين، وذلك بتعريضه لمواقف وأشخاص غير مألوفين لديه، مع إعطائه الوقت الكافي لكي يشعر بالارتياح لهذه المواقف الجديدة.

وفي إطار علاج الطفل المصاب بالخجل دائمًا، ينصح الدارسون بضرورة عدم تعنيفه أو توبيخه أو الاستهزاء به.. بل على العكس من ذلك لا بد من تشجيعه وتحفيزه ومدحه والاعتراف بقدراته وإنجازاته؛ حتى يكتسب الثقة تدريجيًّا بنفسه، مع الأخذ بالحسبان عدم دفعه إلى القيام بأعمال مجهدة تفوق قدرته الجسمية أو العقلية، بل لا بد من معرفة الشيء الذي بإمكان الطفل الخجول عمله والقيام به، وهذا ما يكسبه شعورًا بالأهمية والتقدير ويخرجه من حالته المرضية، أما إذا استعصى الأمر فلا بد من عرض الطفل على الأخصائي النفسي؛ لمساعدته على تنمية قدراته النفسية، وتحدي الأفكار الخاطئة التي تسيطر على ذهنه عند التعرض لمختلف المواقف الاجتماعية.

في الختام نخلص إلى أن الخجل خلل سلوكي يعوق نمو الطفل وتكيّفه مع مجتمعه، فهو يؤدي إلى إضعاف قدرته على الاندماج بمحيطه وبالتالي نقصان مهاراته الاجتماعية، كما يجعل سلوكه متصفًا بالجمود والخمول سواء داخل المدرسة أو خارجها. كما نخلص إلى أن الطفل الخجول يبتعد عن كل شخص يوجه إليه اللوم أو النقد. لذلك يؤكد الدارسون على ضرورة الأخذ بيده ليتخلص من خجله، وعلاجه إذا لزم الأمر، والابتعاد قدر الإمكان عن التحدث معه حول خجله بشكل مباشر، بالإضافة إلى عدم تعنيفه أو توبيخه أو الاستهزاء منه. ■

(*) كاتب وأكاديمي متخصص في الفكر الإسلامي / المغرب.

hiragate.com

محمد سلمان المندعي*

رحلة الإنسان مع بريق الذهب

قبل مائة سنة مضت، قصّ "جون راسكين" (John Ruskin)، حكاية رجل صعد على متن سفينة وهو يحمل كل ثروته في كيس كبير مملوء بالقطع النقدية الذهبية، وبعد بضعة أيام من بداية الرحلة هبَّت عاصفة هوجاء، وانطلق الإنذار داعيًا إلى هجر السفينة. صعد الرجل إلى السطح رابطًا الكيس حول خاصرته، ثم قفز من الحافة ليغوص إلى قاع البحر مباشرة.. هنا يتساءل راسكين: في تلك اللحظات التي كان فيها الرجل يغوص باتجاه القاع، هل كان هو مَن يمتلك الذهب أم الذهب مَن كان يمتلكه؟

خصائص الذهب

لقد حرّك الذهب مجتمعات بأكملها، وقضى على اقتصاديات وحوّلها إلى أشلاء، وحدّد مصائر الملوك والأباطرة، وكان الملهم لأروع الأعمال الفنية.. كما حرَّض الناس على ارتكاب أفظع الجرائم، وجعل الرجال يتكبدون المشاق بأمل العثور على ثروة سريعة للتخلص من الفاقة والقلق.

"يا لروعة الذهب، من يمتلك الذهب يمتلك كنزًا يمكّن الأرواح من الدخول إلى الفردوس"؛ تلك كانت كلمات "كولومبوس" أثناء رحلته الأولى إلى أمريكا. ورغم حالات الهوس المعقدة التي كان الذهب وراءها، إلا أنه بسيط من حيث الجوهر لدرجة تبعث على الدهشة. إن رمزه الكيميائي AU مشتق من كلمة AURO-RA التي تعني "الفجر المتألق". ولكن رغم الروعة التي يوحي بها هذا الرمز، يبقي الذهب عنصرًا خاملاً كيميائيًا مما يفسر سر تألقه.

وبعكس أي عنصر آخر على سطح الأرض، لا يزال القسم الأعظم من الذهب الذي تم تعدينه، متواجدًا حاليًا، ونرى الكثير منه في المتاحف يزخرف التماثيل القديمة وأثاث تلك التماثيل، أو معروضًا بشكل قطع نقدية، كما نرى بعضه على صفحات المخطوطات المزينة بالرسوم، وبعضه الآخر بشكل سبائك برّاقة مخبأة في الأقبية المعتمة للمصارف المركزية.. كما نرى الكثير منه على الأصابع والآذان وفي الأسنان.. وهناك البقية الباقية التي ترقد بهدوء داخل حطام السفن في أعماق البحار.

فمقاومة الذهب العنيدة للتأكسد، وكثافته غير العادية والطواعية للطرق، هذه الخاصيات الطبيعية هي التي تفسر الصبغة الرومانسية للذهب، حتى كلمة Gold بحد ذاتها لا تتضمن ما يثير الخيال، فهي مشتقة من كلمة إنجليزية قديمة Geol وتعني أصفر.

إن دوافع الجشع والخوف ومشاعر التوق إلى القوة وإلى الجمال، التي حرّكت القصص التي تلت تلك الدوافع والمشاعر، ما تزال حيَّة وفعالة في اللحظة الراهنة. وبالتالي يمكن القول بأن قصة الذهب هي قصة عصرنا الحالي بقدر ما هي حكاية من حكايات الماضي. فَمِن المَلِك المسكين "ميداس" الذي دمّره حب الذهب إلى "علي خان" الذي كان يوزع سنويًّا مقدار وزنه ذهبًا، ومِن المناجم الرطبة في جنوب أفريقيا إلى الأقبية فائقة النظافة في "فورت نوكس"، ومن الأعمال الفنية البديعة لشعب سكايثيا إلى معابد قبائل الأنكا، ومن الأسواق الشعبية في البنغال إلى الأسواق المالية في مدينة لندن.. يعكس الذهب سعي البشر وراء الحياة الخالدة ووراء اليقين المطلق والنجاة من الخطر.

إن الفكرة الرئيسية في الحكاية بأكملها، هي تلك المفارقة الساخرة في أنه لا يمكن للذهب تحقيق هدف ذلك السعي، فالناس مثلهم مثل مسافر "راسكين" الذي قفز من السفينة، يأخذون رمز الذهب على محمل الجد إلى حد كبير ويقومون وقد أعماهم بريقه بالتخلي عن أنفسهم في سبيل وهم.

علاقة الإنسان القديم بالذهب

شهدت علاقة الإنسان بهذا المعدن النفيس تحولات درامية خلال مسيرة الحضارة البشرية، لكن أولى عرى هذه العلاقة توطدت في المجتمعات القديمة على أسس غير مادية، إذ كان الذهب رمزًا للحياة الأبدية؛ لما يتميز به من خصائص فريدة لعل من أهمها ديمومته وقدرته على الصمود في وجه الزمن. وفي عصر ما قبل التأريخ كان الذهب يُدفن تحت الأرض نذورًا للآلهة، ويلقى في الأنهار والبحيرات المقدسة طلبًا للبركة والقبول.. كما أدى دورًا كبيرًا في

الطقوس والشعائر من دون أن تصبح قيمته محلاً للتبادل التجاري. لقد جسّد الذهب لحظة الوداع الأخير، فكان يصاحب الموتى عونًا لهم في طلب الخلود. وربما فُسّر ثبات حالته بمقاومة الروح البشرية للموت، كما استُخدم -ولا يزال- رمزًا للثروة والرخاء والمكانة الاجتماعية الرفيعة.

بالتوازي مع تطور الفكر الإنساني وتقدم المجتمعات والاقتصادات، نشأت الحاجة إلى تنظيم التبادل التجاري باستخدام وسيط يحمل في مادته قيمة حقيقية، إذ كانت النقود تُضرب من معادن رديئة لا تنطوي على أي قيمة ذاتية، أو تصنع من مواد أخرى كالحجارة والجلود والملح وغيرها. فظهرت أولى قطع النقد الذهبي في "ليديا" غرب تركيا الحالية نحو عام ٦٥٠ قبل الميلاد، وقد صنعت تلك القطع من خليط الذهب والفضة الذي يعرف بالإلكتروم. وبدأت دول العالم القديم تؤسس أنظمتها المالية على معدن الذهب الذي ضمن لها استقرار قيمة عملاتها، وساعد على توطيد سلطتها ونفوذها.

وفي المنطقة العربية وشبه الجزيرة العربية انتشر النقد البيزنطي إلى جانب النقد الفضي الساساني، ومع امتداد رقعة الدولة الإسلامية بدأت مرحلة الانتقال إلى النقد العربي الصرف في عهد الخلافة الأموية. ولم تعرف الدول الإسلامية المتعاقبة، ولم تعترف بنقد غير النقدين، الذهب والفضة. وظل نظام المعدن الثنائي قائمًا مع تعاقب الدول الإسلامية حتى انهيار الخلافة العثمانية في مطلع القرن العشرين.

فورة الذهب الأولى

في القرن الثالث عشر تأسس نظام نقدي في أوروبا محوره الذهب، كانت الثروة حينها تقاس بما تملكه الدول من الذهب والفضة. كانت الدول متعطشة إلى الذهب، وكانت دُور سك العملة في أوروبا تغلق أبوابها. لقد أذكى هذا التعطش فورة الذهب الأولى كانت مغامرة وحشية وفتاكة وعنيفة وإجرامية ابتلعت حضارة بكاملها، وتقيأتها في صورة مسكوكات نقدية.

ففي القرن السادس عشر غزت إسبانيا حضارة الأنكا في العالم الجديد، بحثًا عن الذهب والفضة لرفد الاقتصاد الإسباني. وانتصر الجشع وهيمنت الوحشية، وتلاشى نتاج آلاف السنين من الأعمال الفنية في أفران الصهر، وتحولت حضارة برمتها إلى نقد.

مرحلة معيار الذهب

وفي القرن التاسع عشر اندلعت أحداث ما يعرف بفورة الذهب في كاليفورنيا، وبعد هذه الفورة بخمسة عشر عامًا، بدأت ارهاصات تشكل نظام نقدي جديد عُرف بقاعدة الذهب أو معيار الذهب أولى مراحل تبدُّل دور الذهب داخل النظام النقدي، التي ستعقبها مرحلة قاعدة الصرف بالذهب، ثم مرحلة هيمنة الدولار وإزاحة الذهب عن عرشه النقدي.

ولكن مع اندلاع الحرب العالمية الأولى، اضطرت الدول إلى التخلي عن العمل بمعيار الذهب في عام ١٩١٤ للميلاد، بسبب حاجة الحكومات الملحة

على مدى قرون ظل الذهب يحرك العواطف نحو السطوة والمجد، نحو الجمال، نحو الأمان، وحتى نحو تمني الخلود.. ظل الذهب وسيلة للتباهي، وعامل ضبط فعال كمعيار نقدي، وما من مادة أخرى فرضت هذا القدر من التبجيل طوال تلك المدة من الزمن.

إلى التوسع في إصدار الأوراق النقدية من دون التقيد بكميات الذهب المقابلة، وذلك لتمويل الحرب. وساءت الأحوال الاقتصادية بعد الحرب، ووجهت أصابع الاتهام إلى معيار الذهب.

وتدخل الرئيس الأمريكي "فرانكلين روزفلت" لتأميم الذهب وحظر تداوله بين الأفراد ومؤسسات القطاع الخاص، وأبطل العقود التي حددت مدفوعاتها بالذهب. وبعد الحرب العالمية الثانية، بدأت مرحلة جديدة عرفت بنظام "بريتون وودز" (١٩٤٦)، ثُبتت من خلاله أسعار صرف العديد من عملات دول العالم بالدولار، وثبت تحويل الدولار إلى ذهب عند مبلغ ٣٥ دولار للأونصة. واستمر العمل بهذا النظام إلى عام ١٩٧١ للميلاد، حيث كانت الولايات المتحدة تتكبد مصروفات هائلة على حرب فيتنام. ووقعت صدمة نيكسون، وألغى تحويل الدولار إلى ذهب، وخرج الذهب من دائرة النظام النقدي، وبدأ عهد العملات القانونية غير السلعية، التي اعتبرت طباعتها حقًّا سياديًّا للدولة، ولها أن تصدرها وفق الحاجة من التوسع المفرط خشية ارتفاع مستويات التضخم في الاقتصاد.

فورة الذهب الصينية

في السنوات التي أعقبت صدمة نيكسون، بدأت الضغوط تتصاعد على الدولار الأمريكي، وتذبذبت قيمته، وتشكلت بوادر فورة ذهب جديدة، لكن هذه المرة في قلب القارة الآسيوية، عرفت باسم ثورة الذهب الصفراء نسبة إلى الصين.

تلخص قصة إنتاج الذهب الصيني، حكاية تحول الصين الأيدلوجي والاقتصادي؛ كانت الصين في حاجة ماسة إلى العملات الأجنبية لتمويل مشترياتها من الأسواق الخارجية، وإلى أصل يوفر لها سبل التحوط من تذبذبات أسعار العملات، فلجأت إلى الذهب لتحقيق هذه الغايات. لكن كان على الصين أولاً، أن تطوع عداء الأيديولوجيا الشيوعية المتأصل لهذه المادة (الذهب) التي تعتبر الأساس للثروة الشخصية. لقد تغيرت الآمال والأحوال المادية بفعل التحولات التي طرأت على الدولة الصينية، والتي أدت إلى تغير موقفها من التنقيب عن الذهب.

وبعيدًا عن نظرة الشك إلى الذهب، باعتباره رمزًا للثروة الخاصة التي تهدد القيم الشيوعية المثلى، وصلت الصين إلى اقتناعات، تعكسها احتياطياتها المتنامية من سبائك الذهب، مفادها أن الذهب ربما يكون أداة تحوط نافعة في عالم الدولار المتقلقل. وبعد أن فتحت الصين باب التنقيب على مصراعيه للشركات الصينية وللصينيين أيضًا، تبدلت أحوالها وارتفع إنتاجها من الذهب بصورة ملحوظة، واستطاعت إزاحة جنوب أفريقيا عن عرش أكثر دول العالم إنتاجًا للذهب في العام ٢٠٠٧ للميلاد.

بدأت مرحلة جديدة من المسيرة التاريخية للذهب، لكن التطور السريع الذي شهدته الأسواق المالية خلال عقدي الثمانينيات والتسعينيات، أدى إلى تراجع الذهب لعدة سنوات فقط، ثم عاد إلى الواجهة مرة أخرى إثر وقوع الأزمات المالية.. فكان ملاذًا أخيرًا لأصحاب الاستثمارات ورؤوس الأموال وللحكومات والمؤسسات المالية. وفي مطلع عام ٢٠٠٨ للميلاد حطم سعر الذهب أرقامًا قياسية، عكس تجاوز الطلب للعرض، وبات مصدر الطلب الاستثماري عاملاً مهمًّا جدًّا في صيرورة هذا السعر. وكما كان الذهب في المجتمعات القديمة ملاذًا معنويًّا للناس، فقد أصبح الذهب هذه المرة ملاذًا ماديًّا للبشر في زمن الأزمات الاقتصادية.

على مدى قرون ظل الذهب يحرك العواطف نحو السطوة والمجد، نحو الجمال، نحو الأمان، وحتى نحو تمني الخلود.. ظل الذهب وسيلة للتباهي، وعامل ضبط فعال كمعيار نقدي، وما من مادة أخرى فرضت هذا القدر من التبجيل طوال تلك المدة من الزمن. إن أكثر ما يلفت النظر في هذا التأريخ الطويل، هو أن الذهب قد جر معظم الذين كانوا يدافعون عنه خلال مسيرته، إلى الهاوية مرة بعد أخرى، بدا الأشخاص أشبه بمسافر "راسكين" الذي غرق متشبثًا بذهبه، واكتشف بعد فوات الأوان، أن الذهب كان يملكه لا العكس. ■

(*) كاتب متخصص في علوم البحار والبيئة / اليمن.

المرجع

(١) الذهب التنافس على أكثر معادن العالم إغراءً، تأليف: ماثيو هارث، ترجمة: محمد باكير، سلسلة عالم المعرفة، نوفمبر ٢٠١٨، ع٤٦٦.

(٢) The Power of Gold, by Peter. Bernstein, 2000, John Wiley.

hiragate.com

خلف أحمد أبو زيد*

البعد الروحي في فن الرقش

يتميز الفن الإسلامي بسمات خاصة أكسبته تفردًا عن الفنون التشكيلية الأخرى في أساليبه ومفرداته. ويعدّ فن الرقش العربي "الأرابيسك" أكثر نتاجات هذا الفن تعبيرًا وتجسيدًا لفلسفته، حيث يعدّ من أوسع فنون الحضارة الإسلامية انتشارًا وازدهارًا، ومن أكثر فنون الرقش تميزًا في العالم. فقد استطاع في فترة وجيزة أن يغطي كل أجزاء الدولة الإسلامية بطرازه المتميز، وأن يبقى

سـواء كان الرقش نباتيًّا أو هندسيًّا، فإنه يبقى محاولـة للتعبير عن ملكـوت الخالق والإيمان بـه، فهو أقرب إلى التبتـل الجمالي منه إلى التزويق الشكلي.

حراء

شامخًا على مر العصور، ويترك بصماته على الفنون الغربية حتى اليوم. فما الرقش العربي؟ وكيف أفرغ المبدع والفنان العربي فيه رؤاه الفنية التي حملت ملمحًا روحيًّا جماليًّا عبر استخدام هذا النوع من الفن؟

الرقش العربي

بدايةً نؤكد على أن فن الرقش العربي يعبر عن ترابط إنساني واجتماعي بديع، كما يقول فيلسوف الفرنسي "جاك بيرك": "إن الرقش العربي هو تركيب وتلاق، فيه يتلاقى هدف الفنان مع الإدراك الحسي مع المادة، وهكذا يبدو الرقش العربي مرتبطًا بالمجتمع معبرًا عن ذلك بكنيته العربية". وقد أطلق على هذا النوع من الفن اسم "الأرابيسك" للدلالة على الأشكال المجردة أو المحورة عن الواقع، التي يبتكرها الصانع في رسمه أو نقشه، أو حفرت مستوحاة من أعماله الجمالية العربية. كما استعمل هذا المصطلح للدلالة على الخطوط الانسيابية المنغمة في الرسم التشبيهي، ويقابل هذا المصطلح بالعربية كلمة "الرقش العربي". وفي اللغة "رقش" يعني زوق الكلام، أو الصيغ رسمها محسنة مزينة أي نمقها، ويختلف هذا الفعل عن فعل "رَقَنَ"، أي زين الكتاب بالرسوم والصور الواقعية المبسطة.

وكانت الجذور الأولى لظهور هذا الفن، من خلال الأشرطة المحفورة والمرسومة على مادة الجص، وهي المعروفة لدى علماء الآثار باسم طراز سامراء الثلاثة، خاصة ذلك الطراز الدولي الثالث الذي وصل مصر، وتمثل وجوده على الأخشاب في العصر الطولوني. وقد ظهر هذا الطراز في مجال الزخارف النباتية والهندسية، حيث اتسمت الزخارف بالتحوير الشديد، والبعد عن الواقع، وتجريد العناصر الزخرفية من أصولها الأولى نحو التعقيد والتشابك.. وكان مقدمةً لظهور فن الرقش "الأرابيسك" بعد ذلك في القرنين الخامس والسادس الهجريين.

الرقش فن له دلالات

يرتبط الرقش العربي بالحدس؛ أي بالإدراك الحسي وبالتعالي والإطلاق، فهو صيغة من صيغ التعامل مع الواقع، صيغة غير مدية تعتمد على حرية الفنان في قراءة الواقع قراءة حدسية، ونقله بصيغة جمالية مجردة. فالرقش

ليس مجرد عملية تحلية وتزويق، بل هو فن حي إبداعي، وقد عبر عن ذلك "غرابار" أحد فلاسفة الفن في الغرب بقوله: "ليس الرقش العربي مجرد زخرفة، بل كانت له دائمًا وظيفة رمزية، في جميع أشكال الرقش -سواء كان هندسيًّا أو نباتيًّا- فإن هذا الفن يبدو وكأنه أخضع كليًّا لمبادئ تجريدية هي في قمة جميع مراتب التعبير الجمالي الإسلامي، وهذا يعني أننا نقف أمام بنية متحركة وليست ساكنة، وأمام قالب يولد جملة تكوينات متآلفة". ونستشف من ذلك أنه تكمن وراء الصورة الظاهرية للرقش، نسق كامل من الإشارات التي تعرض تاركة حق التأويل، أي ثمة معان كثيرة في الرقش العربي تنتظر تفسيرها، الأمر الذي يعطي التجريدية في الرقش قيمة تعبيرية جديدة غير محدودة المعنى والرؤى، حيث تبدو دلالات التجريد في الرقش العربي واضحة في أسلوبين أساسيين سار الرقش في مسارهما.

الرقش النباتي

وهو على نوعين، الأول "لين" ولكنه مبني على أساس هندسي، تحولت فيه الأشكال النباتية إلى وحدات زخرفية مجردة، تمادى الفنان للوصول إليها بالخروج عن الواقع للاكتفاء بالصورة الجمالية التي أتقن نسيجها برشاقة وتناسق.. وبتكرار الفنان لهذه الصيغ بإلحاح إيقاعي، ينتظم نبض الابتهال والتبتل.. وكثيرًا ما ربط النقاد هذا التكرار بالذكر، كما عبر عن ذلك "ببرايين" بقوله: "إن الصيغة المكررة المتخيلة أو المنفذة في الرقش، تثير الشعور بأبدية الانطلاقات والعودات ممثِّلة بذلك علاقة الظاهر بالجوهر، مما يقترب من ممارسة الذكر".

أما النوع الثاني من الرقش النباتي يسمى "الرمي"، وهو عمل تغلب عليه العفوية والاسترسال، مستوحاة من النباتات. وقد انتشر هذا النوع من الرقش في مصر في العصر الطولوني، وفي إيران كما نراه في جامع نابين. وظل أسلوب الزخارف النباتية يتوالى إلى أن وصل أقصى ازدهاره في القرن الثالث عشر، حيث انتشر استعمال هذا النوع من الزخارف في التحف المختلفة، سواء كانت من الخشب أم من المعدن أم من الزجاج أم من الخزف، كما استعملت في زخارف العمائر والصفحات المذهبة في الكتب.

الخيط العربي

وهو الأسلوب الثاني، وهو عمل هندسي محض يقوم على تفريعات واشتقاقات تعتمد على الأساس التشكيلي للأشياء، وهو أساس يبدو رياضيًّا لاعتماده على الأشكال الهندسية (المثلث والمربع والمخمس)، لكن هذه الأشكال تصبح في الرقش العربي أوعية لمضامين رمزية، لا تخلو من معان قدسية أو ضوئية أو جوانية، مثل شكل النجمة التي اتخذ منها الفنان صيغًا

متعددة سداسية أو ثمانية أو خماسية، أو من مضاعفات هذه الأشكال.. فالنجمة السداسية على سبيل المثال، مؤلفة من مثلثين متساويي الأضلاع، رأس أحدهما إلى أعلى، والثاني إلى أسفل، الأول منهما يرمز إلى الأرض، والثاني يرمز إلى السماء، وتطابقهما يرمز للكون. أما النجمة الثمانية فهي مؤلفة من مربعين، أحدهما يمثل الجهات الجغرافية الأربع، والثاني يمثل العناصر الأساسية الأربعة (الماء والتراب والنار والهواء)، والنجمة الثمانية من المربعين ترمز أيضًا إلى الكون، أما النجمة الخماسية فهي اندماج المثلثين في النجمة السداسية وتحمل نفس المعنى. والشكل النجمي يبدأ بتقسيم الدائرة إلى أقسام متساوية ٢٤، ٤٨، ٩٤ أو ٩٦ قسمًا.. والنجمة الخماسية ذات ٤٨رأسًا تم ابتكارها في فاس، وفي صناعة الزليج الأندلسية والمغربية الرائعة. وسواء كان الرقش نباتيًّا أو هندسيًّا، فإنه يبقى محاولة للتعبير عن ملكوت الخالق والإيمان به، فهو أقرب إلى التبتل الجمالي منه إلى التزويق الشكلي.

الرقش والزخرفة

لقد حاول البعض القول بأن الرقش ما هو إلا نوع من الزخرفة، انتشر على جدران العمارة، وعلى صفحات المخطوطات، وعلى سطوح الأواني المنقولة.. إلا أن هذا الرأي سرعان ما يتداعى أمام عنصر الإبداع الذي يتحلى به فن الرقش، هذا الفن الإبداعي الذي جاء محصورًا بالشكلين الهندسي والنباتي. ومع أن الرقش يزيد السطوح جمالاً ورونقًا، فهو ليس مجرد زخرفة تزويقية، لأنه يعبر عن خصيصة تشكيلية تعتمد الجمالية الإسلامية، التي تفتقد إليها الزخرفة التي ما هي إلا نشاط تشكيلي يعني التزويق والتنميق حصرًا.

ونخلص من هذا كله إلى أن الزخرفة تختلف عن الرقش، فقد بدت أولاً محاولة عفوية لتزيين الأشياء الاستعمالية وتزويقها، فكانت أمام المزين أو المزوق فرص لا حد لها، لاستلهام الجمال أو لتطوير الأشكال المجردة.. وقد بدت الزخرفة مبسطة وبدائية لا تنتمي إلى أية جمالية بعينها ولا تعبر عن شخصية فنية متميزة، فقد تكون مجرد استلهام من أشكال غير محدودة، أي أنها جاءت من الخاطر والخيال، وقد تكون نقلاً عن زخرفة غريبة.. ومن هنا لا بد من التمييز بين الرقش والزخرفة، على الرغم من خطوط التلاقي بينهما، وخاصة فيما يتعلق بملء الفراغ في نسيج الزخرفة والرقش. ■

(*) كاتب وباحث مصري.

المرجع

(١) الرقش العربي وفلسفة الفن الإسلامي، د. عفيف بهنسي، مجلة العربي، العدد:٣٧٥، فبراير ١٩٩٠.

(٢) الوحدة الجمالية في مدارس الفن الإسلامي، د. مصطفي عبد الله شيحه، مجلة الفكر العربي، عدد خاص عن الجماليات العربية، فبراير ١٩٩٢.

(٣) الفن الإسلامي، أبو صالح الألفي، دار المعارف مصر، ص:١١٢.

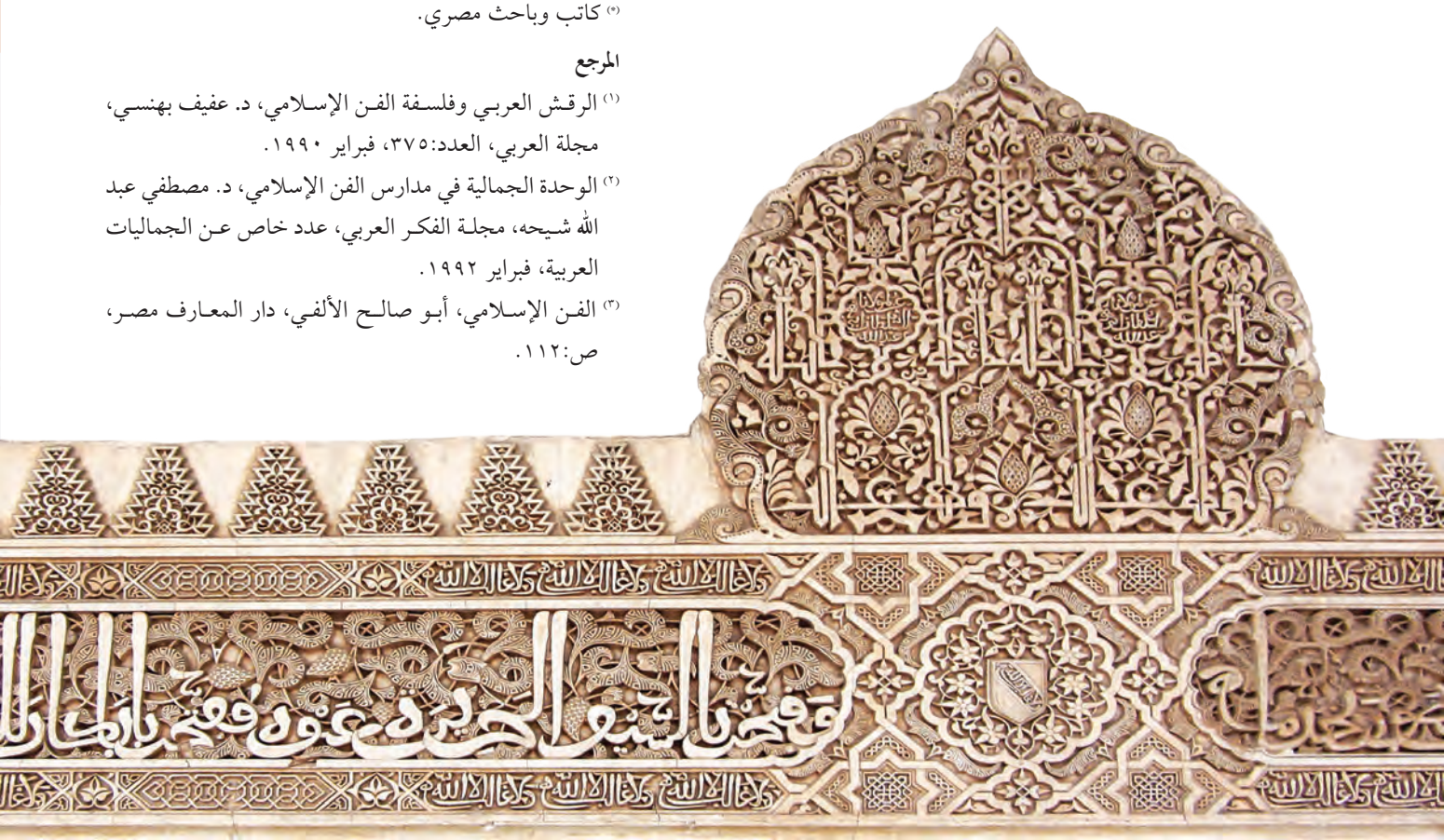

لحسن ملواني*

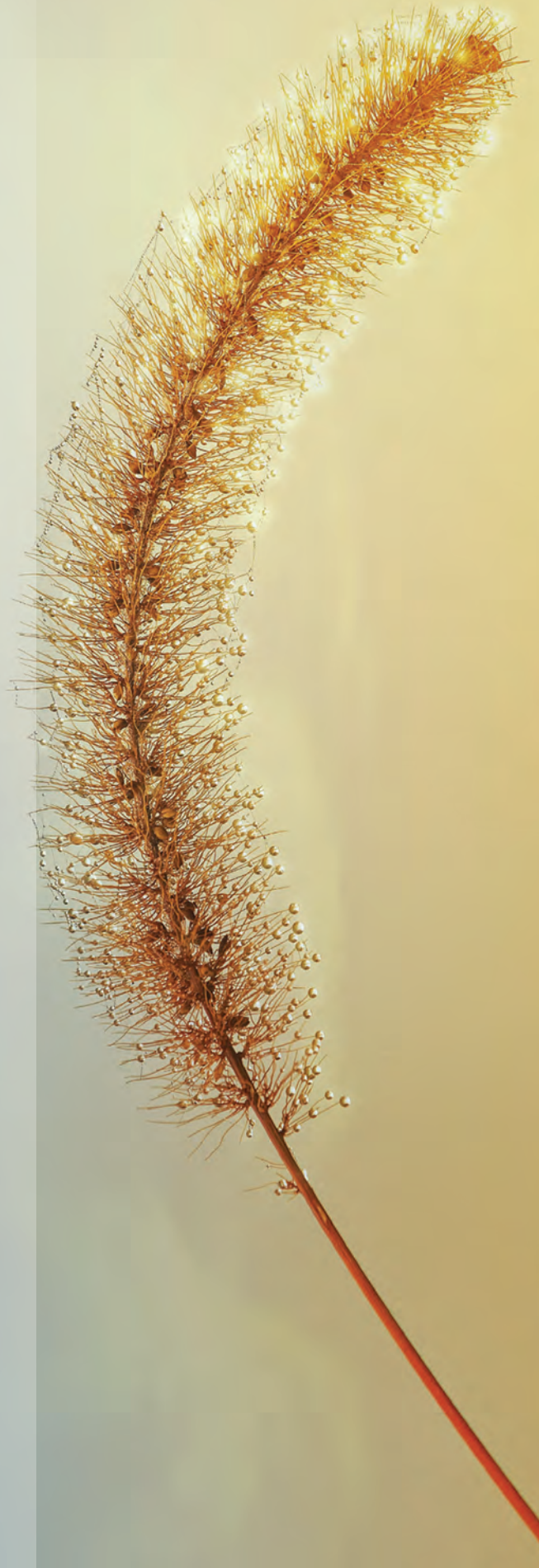

النفحة الروحية
في ديوان الإشارات

يعد شعر الهايكو ضربًا من ضروب الشعر الياباني، ويتميز بقدرته على التعبير عن الأحاسيس والانفعالات التي تنتاب الإنسان أمام مواقف معينة.. شعر عميق عبر ألفاظ قليلة العدد بسيطة واضحة الدلالة.

وبفضل تقدم وسائل الإعلام وازدهار الترجمة، تمكن الكتّاب بالعربية من الانخراط في هذه التجربة الإبداعية مع جعلها تلائم رؤيتهم الإبداعية، ولم يلتزم بعضهم بالقالب المعروف في الهايكوي كما درج عليه شعراء اليابان. وقيل إن السباق إلى

كتابة قصيدة الهايكو هو الشاعر الفلسطيني عز الدين المناصرة، الذي ما يزال مخلصًا لكتابة هذا النوع من الشعر بعد أن بدأه بقصيدة هايكو تانكا.

ونجد فريد الأنصاري الكاتب المغربي صاحب القدم الراسخة في مجال الكتابة الشعرية، ألف -كذلك- قصائد تختزل الرؤية الواسعة في عبارات قصيرة جميلة الإيقاع.. ويأتي ديوانه "إشارات" ضمن مؤلفاته الأدبية الإبداعية، ومنها ديوان القصائد، وديوان جداول الروح، وديوان مشاهدات بديع الزمان النورسي، وديوان المقامات، وديوان المواجيد.

الديوان مرصع بقصائد قصيرة عميقة تحمل النبض والفكرة وبُعد النظر، قصائد كثيرة قصيرة يسيرة النسج جميلة الإيقاع، تختزل الرؤية الواسعة في عبارات قصيرة فهي أشبه بالقصة القصيرة جدًّا من حيث الإدهاش والترميز والتكثيف والاستعارة.. والقصائد المتضمنة في الديوان كثيرة، منها إشارة، شروق، سكينة، بشارة، اللقاء، توبة، ميلاد، المساء، المصير، السحر، السفر، وصفة، العاصفة، حنين، السجين، الصلاة، الشهيد، الجهاد، العمى، التوحيد، الندى، القيام، المستحيل، الشهادة، العطش، الحيرة، ركون، دعاء، حسرة سلام، رجاء، حقيقة.

عناوين تحيل على المعجم الديني والوجداني والنباتي وهو الغالب عليها.. والديوان بذلك مفعم بالاستعارات من حقول معجمية متنوعة، جعلته ديوانًا جذابًا يعمق الرؤية إزاء مظاهر الطبيعة العاكسة لأحوال ومصائر الإنسان.

قصة الديوان

استهل الكاتب بقصة ديوانه مشيرًا إلى كونه وهو طالب بكلية فاس يتابع مجلة الدوحة، ليقرأ في أحد أعدادها عن الشعر الياباني المعروف بالهايكو، في مقال للدكتور محمد المسيري تحت عنوان "الهايكو قصة أقصر قصائد الشعر في أدب العالم". وقد جذبه إلى هذا النوع من الشعر، ما يتميز به من خصائص رفيعة تجعله أشبه بالقصة القصيرة جدًّا من حيث القدرة على إبراز قضية واحدة بسيطة غير مركبة. فقصيدة الهايكو عبارة عن لمحة أو إضاءة ذات موجة واحدة تكفي لإيصال إحساس بسيط وعميق في نفس الوقت إلى المتلقي في أقل لفظ ممكن، وبأعمق موجة وجدانية ممكنة.. ومضة واحدة كافية لإشعال غابة من التداعي الفني الجميل، مما لا يمكن إشعاله -عادة- إلا بقصيدة ذات مقاطع ومقاطع.

أضف إلى ذلك أن الهايكو شعر يقوم على توظيف عناصر الطبيعة على غرار الشعر الرومانسي، لكن في صورة جمالية أقرب إلى الرسم الانطباعي الذي ينبض بالحياة المتدفقة. أما المضمون فغالبًا ما يميل إلى رسم فكرة دينية كما هي في التصور البوذي، إذ إن منشأ هذا الضرب من الشعر ديني أصلاً.

على ما سبق بنى الشاعر فكرة ديوانه "هايكو إسلامي" أو شعر الإشارات. ويشير إلى كونه لم يلتزم التزامًا صارمًا مع مقاييس وضوابط الهايكو ولا الشعر الإشاري الصوفي شكلاً ومضمونًا.

إطلالة على قصائد الديوان

يتخذ الشاعر الطبيعة مرتعًا للتعبير عما يراه يجري بين عناصرها، وكأنها أحياء آدمية يجري بينها ما يجري بيننا ونحن نتواصل في مجتمع تطبعه مواقف تستوجب إصدار التصرفات المتنوعة والمشاعر المختلفة. فالطبيعة في الديوان ملاذه في التعبير عن اللحظة وما تحمله من المثيرات الحسية والتأملية التي تفيض بها مظاهرها ومشاهدها.. ولا ننسى أن الهايكو في أصله يتخذ الطبيعة منبعًا للتعبير الشعري الخاطف المسجل لانطباع ودفء اللحظة. إنها الطبيعة الحضن الجميل الذي أودع فيها خالقها البديع سبحانه مكامن البهاء وسحر الجمال المتجدد في كل وقت وحين؛ السماء بغيومها ونجومها وشمسها الذهبية وقمرها البهي، والأرض بأزهارها وبحارها وأنهارها وأطيارها وأشجارها وتضاريسها المتنوعة.. مظاهر أخاذة تستحق منا التوقف قصد التأمل العميق في خباياها.

hiragate.com

hiragate.com

ولأن الشاعر على غرار غيره من المبدعين تستميلهم مظاهر الطبيعة بما تحمله من أسرار، فقد وجد في الطبيعة مجالاً فسيحًا للتعبير عبر الهايكو المرتبط بالبيئة، وما تحمله من كائنات ومشاهد تجعل الروح مفعمة ببهاء اللحظة ومعالم الجمال.. يقول الشاعر في قصيدة "إشارة":

غصن الليل الساجي يوقظ بالأنداء الولهى أسحاره
ويسافر عبر الريح إلى الفجر الأخضر ميادا
فلعل براعمه تكسب من قنديل الوارد أنواره
آه يا غصن ألا ما أوحش هذا السير المدلج فردا
فغيوم الحزن القاتل ما زالت تحجب أقماره
يا غصن أبسط أشواقك أجنحة حتى تومض بارقة الأمطار
واحفظ عني: تلك لدالية الأنس إشارة.

نص جميل وعميق يجعل الغصن في رحلة نحو البحث عن ملاذ يخرجه من ربقة الحنق المستبد به، فيسافر عبر طريق يغشاه الظلام مشتاقًا يروم بارقة أمطار هي أمله وأربه، وهنا يشخص الغصن ويؤَنْسِنُه ليصير كائنًا آدميًّا يفعل ويطمح ويرحل من أجل تحقيق مراده.

يقول في قصيدة "سكينة":

مهما تدوي في الليالي يا رعود العاصفة
وتروعي الأطيار في أوكارهن الراجفة
يبق السكون بروضتي يلقي الظلال الوارفة
فأنا "الخليل" بناره: رقي القلوب الواجفة

هذا النص يذكرنا بنص "ميخائيل نعيمة" المعروف بين طلاب المدارس في كل الوطن العربي، ومنه قوله:

سقف بيتي حديد ركن بيتي حجر
فاعصفي يا رياح وانتحب يا شجر
واسبحي يا غيوم واهطلي بالمطر
واقصفي يا رعود لست أخشى خطر

إلى أن يقول:

لست أخشى العذاب لست أخشى الضرر
وحليفي القضاء ورفيقي القدر

فكلا الشاعرين حاولا تحدي الضجر، وإنشاء عالم

ديوان الإشارات مرصع بقصائد قصيرة عميقة، تحمل النبض والفكرة وبُعد النظر، تختزل الرؤية الواسعة في عبارات قصيرة، فهي أشبه بالقصة القصيرة جدًّا من حيث الإدهاش والترميز والتكثيف والاستعارة.

يفضي إلى السكينة والطمأنينة باستحضار الجانب الديني المفعم بقصص من تجاوز تخوفاته، ليعيش في أمن ما دام القدر يتحكم في كل الوقائع التي تطرأ في عالمنا.

فمهما "تدوي في الليالي يا رعود العاصفة، وتروعي الأطيار في أوكارهن الراجفة"؛ فالشاعر أشبه بالخليل إبراهيم عليه السلام؛ المشهور عنه أنه بعد تحطيم الأصنام أمر النمرود بحرقه، لكنه خرج من النار بلا أذى.

في قصيدة "توبة" يقول:

في بطن الحوت أنادي: وَا نَدمي!
رباه أيشرق نور في ظلمي؟
شجر اليقطين دواؤك يا سقمي!
بشرى خضراء تفتحُ في حلمي.

فقد استلهم نصه هنا من قصة يونس عليه السلام؛ الذي التقمه الحوت مدة، ليعود سليمًا معافى كمعجزة ربانية أدهشت معاصريه.. والشاعر هنا يحاول طمأنة نفسه على أن الفرج آت من الله لا محالة، فمهما اشتدت الأسقام وتعددت الأهوال، فالمخرج والفرج آت بإذن الله.. والنص له علاقة من حيث مرماه مع النص السابق، بل إن نص "بشارة" يمكن أن يندرج في هذا المجال، حيث التفاؤل والاستبشار بالمخرج من الكمد حيث النور يلوح له في الأفق فلْيخلع نعليه كما فعل موسى عليه السلام استعدادًا لمناجاة الله عز وجل، يقول:

من يروي أشواق القلب الصادي؟
من يمحو ديجور الكمد العادي؟
لا شيء سوى نور الأفق الحادي:
نار بالطور تجدد ميلادي!
فاخلع نعليك.. فإنك بالوادي

hiragate.com

وفي ذات المنحى يدفع بك الشاعر لتستحضر النبي الصبور أيوب عليه السلام وقد اشتد به المرض، وهو المبتلى بكثير من المحن فصبر وشكر، وأشفاه الله تعالى بعد مرض دام سنوات.

قصة يعيد الكاتب رسمها في موجة شعرية واحدة، تجعلك أمام كل إنسان صبور يتحمل ويلات الزمن، فيأتيه الفرج من حيث يدري ولا يدري.. يقول الشاعر في قصيدة "ميلاد":

أيوب يا وطنًا تكبله ليالي الاكتئاب
دمك المراق: شهادة الميلاد بعد الاغتراب
فاركض برجلك: فهو مغتسل يعيد لك الشباب

وحين يصور الشاعر حيرته وترقبه، تجده يربطه بعناصر الطبيعة وكأن بينهما علاقة وطيدة من التفاعل المتبادل في السراء والضراء، ذلك أن الطبيعة تصير عنده وعند غيره من الشعراء، مجالاً للبوح وتبادل الأسرار في وحدة تضامنية تعكس المشاعر عبر مظاهرها التي تتغير كما تتغير مشاعرنا بين موقف وموقف وبين رغبة ورغبة.. يقول الشاعر في قصيدة "المساء":

موت يعانق ميلادًا على الشفق
والبحر يصخب في قلبي على قلق
وحيرة من رؤى المجهول في أفقي.

هذا الشعور بنوع من الاغتراب الذي تنضح به القصيدة، نجد مثيله في قصائد أخرى تجسد استبداد الحيرة والضيق أحيانًا على الشاعر في حياة قصيرة مهما طالت، وزائلة مهما اعتقد البعض بخلودها.. وهنا يقف الشاعر وقفة تأمل وتحسر على حياة تحمل قوة ونشاطًا، لتنتهي بالسكون والضعف والعدم. يقول الشاعر في قصيدة "المصير":

يحط المساء على المقبرة
ولا صوت إلا صدى قبره
"هنا سوف ترقد يا عنترة"

فالشاعر في هذا النص يستحضر تجربته العميقة من مجريات التاريخ، ومن قصص الأولين والآخرين، كي يشير إلى وجوب الاتعاظ بها.. وهنا نجد جل نصوص الشاعر تستوحى من النهج الإسلامي، وتصوره للحياة وما يعتريها من نقائص وثغرات وقوة وانتصارات.

الصلاة:

كل من سار تاه!
غير سفر الفلاة:
رعشة ممطرة
ذاك جذب الصلاة

فالتيه إشارة إلى هذه الدنيا التي تشبه فلاة تقتضي منهجًا وضفافًا من القيم تمنع سالكها من التيه.. فالصلاة في النص، تحيل على الجانب الروحي الغاسل لعذاب التساؤل، والراسم للطريق القويم المانع من التهور والضياع والبحث المضني. وهنا يقع الإنسان في حيرة البحث عن الحقيقة المفضية إلى السعادة.. ويجسد الشاعر هذا البحث وهذا التساؤل في نص "مسروقات"، حيث يقول:

من سرق السماء من سمائنا؟
من سرق النجوم من نجومنا؟
من سرق الليل إذا سجى من ليلنا؟
من سرق السحر؟

الشاعر يعيش مضمخًا بحقيقة رحابة العالم الروحي بما يجود به من طمأنينة وسكينة على الإنسان، وهو يشعر بفقدان توازنه في عالم يحتاج إلى ضوابط وتعقل. وهو في وجدانه يرى العالم برؤية العارف بمنهج خالقه، وهو المنهج الذي بإمكانه أن يجعلك ترى السعادة في حقيقتها.

والشاعر في ديوان الإشارات مستفيد من تجربة القصيدة التصوفية المحققة للعمق الفني بناء على سعة الخيال والرمز، تعبيرًا عن الأحوال الروحية وهواجسه الوجدانية بما تحمله من تساؤلات وشجون. ■

(*) كاتب وباحث مغربي.

المرجع

(1) ديوان الإشارات، لفريد الأنصاري، منشورات الدفاع الثقافي، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

hiragate.com

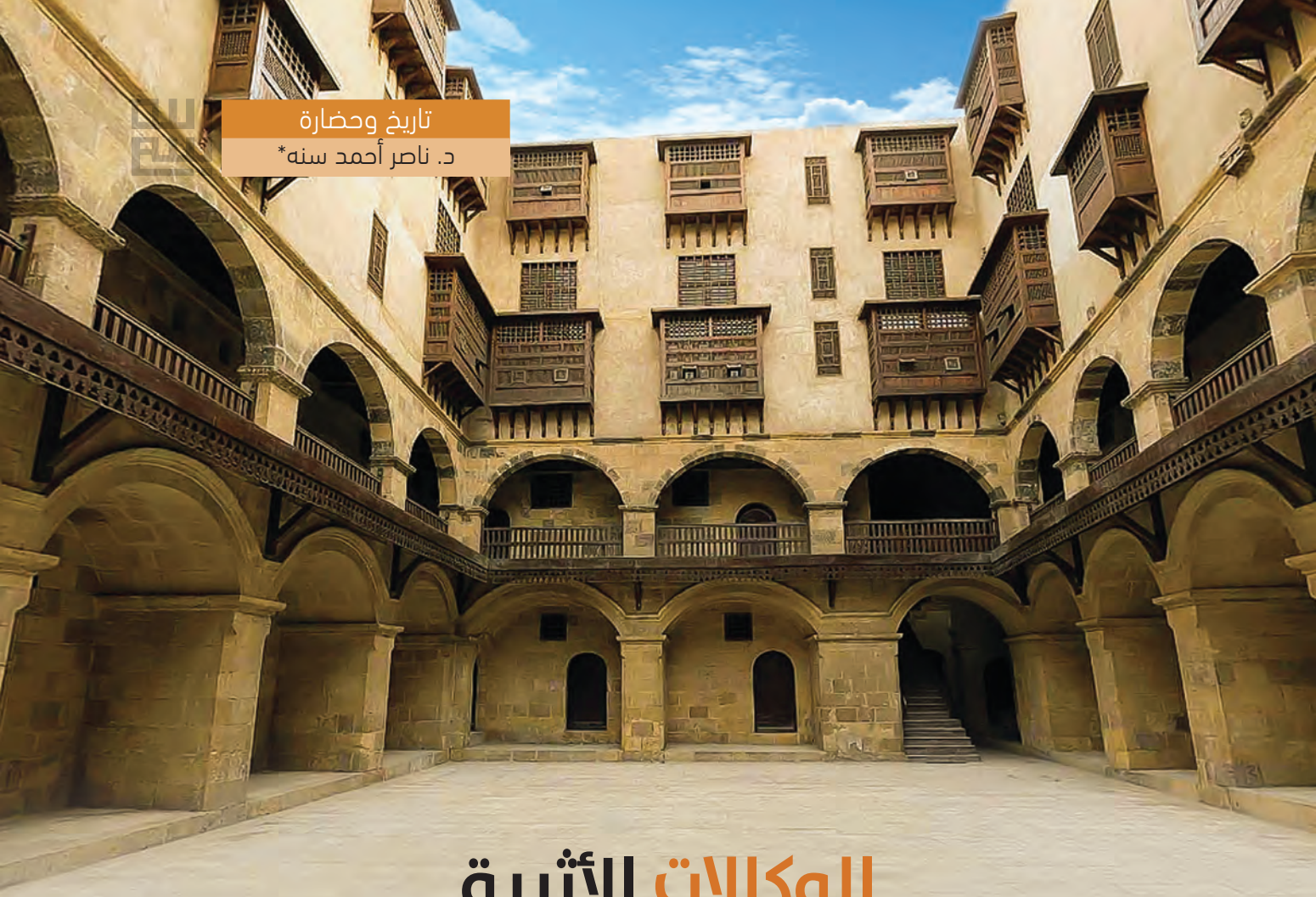

د. ناصر أحمد سنه*

الوكالات الأثرية

١ استوقفني وثائقي ماتع عن "وكالة بازرعة" الأثرية بحي الجمالية بالقاهرة، التي أقامها "حسن كتخدا" عام ١٧٦٩م. وبعد الانتهاء من مشاهدة الوثائقي، تبعه إعلان عن بضائع وأغراض في أحد الأسواق (المولات) الضخمة. فقلت في نفسي بهاجس ذائقة معمارية صرفة: ما أبعد الليلة عن البارحة!؟ ففي البارحة تنوعت العمائر التجارية الوظيفية ما بين وكالات، وخانات، وقياسر، وأسواق، لكنها تتشابه من حيث الاستخدام والغرض من إنشائها الحياتي.. كما لا توجد فروق كثيرة في عماراتها؛ فالوكالات طرز معمارية اشتق اسمها من "التوكيل" لبيع وشراء سلع معينة، كما يتم فيها تخزين البضائع والأغراض وعقد الصفقات. وكثيرًا ما انتشرت هذه الروائع المعمارية في العديد من المدن والحواضر العربية والإسلامية، وقد حظيت بعناية السلاطين والأمراء والأثرياء والتجار على مر العصور. وعادة ما كانت تسمى الوكالة باسم صاحبها أو باسم مَن أنشأها، أو من

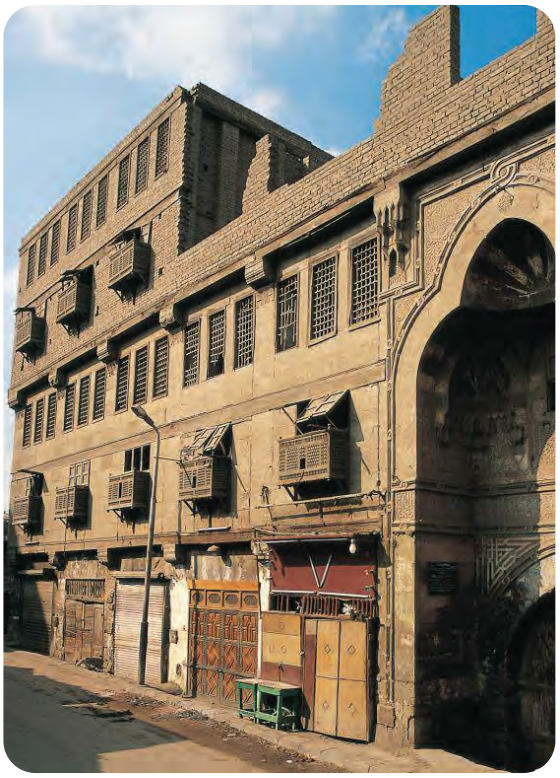

وكالة قايتباي

اشتراها في نهاية المطاف. وكأنموذج دال؛ تزخر القاهرة وغيرها، ضمن ما تزخر به من كنوز أثرية تحكيها أبوابها، وقبابها، ومآذنها، وخاناتها، ومدارسها، وحماماتها، وبيوتها، وأسبلتها بالعديد من الوكالات الرائعة.

وتتضمن الوكالات أبوابًا قد تتعدد مع تعدد الواجهات، وحوانيت، وطوابق ثلاثة أو أربعة، وغرفًا لسكن أصحابها والتجار الوافدين إليها. وغالبًا ما تتكون الطوابق العليا في الوكالات من عدة مستويات داخل الطابق الواحد ويسمى الربع؛ وهو عبارة عن وحدات سكنية متعددة المستويات للوحدة الواحدة (دوبلكس). فيتكون الطابق الأول منها، من مدخل يؤدي إلى ممر على أحد جانبيه مطبخ ودورة مياه، وعلى الجانب الآخر سلم يؤدي إلى الطبقات الأعلى من الوحدة السكنية، وينتهي هذا الممر بمدخل للقاعة التي تتكون من دور قاعة يفتح عليها إيوان واحد. وتتكون الطبقات الأعلى من كل وحدة من دورة مياه وقاعة فقط. وقد تتكون الوحدة السكنية من طابق واحد فقط ويعلوها وحدة سكنية أخرى، كما هو الحال في وكالة "السلحدار" بحي "خان الخليلي" التي ترجع إلى القرن التاسع عشر للميلاد.

وكالتا قايتباي والغوري

لوكالة السلطان "قايتباي" وترجع إلى القرن ٩هـ-١٥م، بوابة تتوسط الواجهة، وفيها حوانيت لعرض البضائع المجلوبة من الخارج، أما صحنها الأوسط فمكشوف تلتف حوله مخازن البضائع، بينما يقع السلم المؤدي للأدوار العليا، في أحد أركان الواجهة. وكان الملك الأشرف "أبو النصر قايتباي" قد بنى عام ٨٨٥هـ-١٤٨١م وكالته بجوار باب النصر، وأمر بإضفاء الكثير من الزخارف الإسلامية الرائعة على طرازها المعماري.

ولما كان السلطان "قنصوه الغوري" مغرمًا أيضًا بالعمارة، ازدهرت في عصره، واقتدى به أمراء دولته في إنشاء العمائر.. وقد خلف ثروة فنية جلها خيرية بمصر وحلب والشام والحجاز، لذا تعتبر وكالة "الغوري" بالقاهرة من مآثر العصر المملوكي الجركسي، الذي شهد تطورًا كبيرًا في عمارة الوكالات. وقد شيدت هذه الوكالة الرائعة في بداية القرن العاشر الهجري (عام ٩٠٩هـ)، وتعد جزءًا من المجموعة الأثرية التي بناها السلطان "قنصوه الغوري"، وتتكون من مدرسة، وخانقاه، وسبيل، وكتاب، ومنزل. كما تتكون وكالته من صحن مستطيل مكشوف تحيط به من جوانبه قاعات على خمسة طوابق، ولها واجهة رئيسية تقع في الضلع الجنوبي، ويقع فيها المدخل الرئيس للوكالة. يتم الصعود إلى الطابق الأول عن طريق سلم من الحجر. كما يوجد في الطابق الأول ما يقرب من ثلاثين حاملاً. أما الطوابق الثلاثة العلوية فيوجد فيها حوالي تسعة وعشرين منزلاً. وكانت حوامل الطابقين الأرضي والأول تستخدم كمخازن للتجار.

نفيسة البيضاء، وأودة باشا، وعباس آغا

تعتبر وكالة "السيدة نفيسة البيضاء" في شارع "التمبكشية"، والتي تقع على مقربة من "باب زويلة"، كنزًا معماريًّا ثمينًا. لقد أنشأتها الجارية الشركسية "نفيسة البيضاء" التي تزوجت من "علي بك الكبير"، وورثت عنه ثروة ضخمة تضمنت تجارة وبيوتًا، وقصورًا، وأسطولاً ضخمًا، وأربعمائة مملوكًا، وذلك عام ١٢١١هـ-١٧٩٦م، لكن تنتشر حاليًّا داخل الوكالة، محلات وورش صناعة الشموع. ويوجد في نهاية الممر

hiragate.com

داخل الوكالة مقهى شعبي. وقد أجري للوكالة وبخاصة واجهتها التي تعد من أجمل نماذج فن الأرابيسك، مشروع ترميم ضمن مجموعة "نفيسة البيضاء" الأثرية التي تحتوي أيضًا على سبيل وكُتاب، وقد انتهى الترميم عام ٢٠٠٥م. ومقابل وكالة "نفيسة البيضاء" في شارع التمبكشية توجد وكالة "أودة باشا"، التي تعتبر من أكبر الوكالات التجارية الأثرية في العالم الإسلامي. لكن الوكالة تمتلئ بمحلات وورش تصنيع النحاس والألومنيوم. وتقع وكالة "عباس آغا" بالقرب من وكالة "أودة باشا" في نفس الشارع، لكن لم يتبق منها فقط إلا البوابة الحجرية والباب الخشبي فقط.

وكالة بازرعة

في شارع "التمبكشية" بحي "الجمالية" بالقاهرة التاريخية، تقع واحدة من أشهر الوكالات الأثرية في مصر؛ إنها وكالة "الكيخا" التي أقامها"حسن كتخدا" في القرن الحادي عشر الهجري (١٧ الميلادي). ومع نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، اشتهرت باسمها الحالي "وكالة بازرعة" بعدما اشترتها عائلة "بازرعة" اليمنية

وكالة السيدة نفيسة البيضاء

وكافة الغوري

الحضرمية. ومنذ ذلك الحين عرفت بتجارة البن اليمني، واللوز البلدي، والعنبر، والصابون النابلسي، بعدما كانت مخصصة لتجارة الأخشاب، ونشطت تلك التجارات لما يُعرف عن اليمنيين منذ فجر التاريخ، براعتهم التجارية. كما ظلت هذه الوكالة تؤدي دورها في تأصيل العلاقات بين اليمن ومصر، من خلال البضائع اليمنية الأصل التي جاءت معها فنون وعادات وتقاليد اليمن طوال قرنين من الزمان.

وكان الاهتمام بالعمائر التجارية إبان العصر العثماني قد ازداد بشكل كبير، فبلغ عدد الوكالات التي شيدت في مصر خلال تلك الفترة عشر وكالات، لكن تبقى هذه الوكالة، من فرائد تلك الوكالات العثمانية. تم تصميم الوكالة على أساس التخطيط للداخل، بحيث تنتظم عناصرها ووحداتها حول صحن مستطيل مكشوف، وذلك تبعًا للنمط الذي كان سائدًا في العصر المملوكي. وتتكون الوكالة من جزأين: الأول تجاري يضم حواصل تنتظم حول الصحن بالطابقين الأرضي والأول، بالإضافة إلى محلات تجارية تطل على الواجهة الرئيسية للوكالة في شارع التمبكشية بالطابق الأرضي.

hiragate.com

أما الجزء الثاني فجناح سكني يحتوي على ٣٦٦ غرفة سكنية يتكون من طابقين أعلى الحواصل. وتتكون كل وحدة سكنية من طابق أول، فيه مدخل، ودورة مياه، ومطبخ صغير، وسلم، وقاعة استقبال، ومعيشة بارتفاع طابقين (دوبليكس).

وللوكالة مدخلان: الأول رئيسي يؤدي إلى فناء الوكالة، والثاني مدخل خاص يؤدي مباشرة إلى الوحدات السكنية العلوية ولا يتصل بالصحن؛ إذ يُصعد من خلاله إلى الأدوار السكنية مباشرة، لمراعاة الخصوصية وفصل حركة التجارة عن حركة النزلاء. هذا ويقع المدخلان على واجهة الوكالة الشمالية، أما بقية واجهات الوكالة فملاصقة لمبانٍ مجاورة. لكن الواجهة الرئيسية لهذه الوكالة، هي الواجهة الجنوبية الشرقية، ويبلغ طولها ٢٥م، وأهم ما يميزها كتلة المدخل التي يبلغ اتساعها حوالي ٥,٤٠م، ويتوجها عقد موتور نصف دائري مكوَّن من صنجات حجرية، ويتصدر كتلة المدخل فتحة تضم الباب الرئيس المكون من ضلفتين خشبيتين خاليتين من الزخارف، ويحيط بكتلة المدخل

وكالة بازرعة

والباب الرئيس "جفت لاعب"؛ وهو نوع من الزخرفة التي انتشر في العصر المملوكي والعثماني باستخدام حرف "الميم" بطريقة هندسية، وهنا نجدها وقد شكلت ميمات سداسية.

يبلغ طول صحن الوكالة ٢٧,٦٥م، وعرضه ١٠,٧٥م. أما جدرانه الأربعة فعبارة عن بائكات، كل بائكة صفان من العقود يعلو كل منهما الآخر، وتحمل هذه البوائك دعامات حجرية مربعة تمثل واجهة الممر الذي يتقدم الحواصل الموجودة بالصحن بالطابق الأرضي والأول. ويوجد فوق حواصل الدور الأول رفرف خشبي نقشت واجهته بزخارف نباتية، وهذا الزخرف محمول على كوابيل خشبية. أما الوحدات السكنية وملحقاتها، فتطل على الصحن عن طريق فتحات نوافذ يغلق على كل فتحة إما شباك حجاب من الخشب الخرط، أو مشربية خشبية من الخشب الخرط، ويحمل كل مشربية مجموعة من الكوابيل الخشبية. وقد استخدمت الأحجار القوية في بناء الدور الأرضي والأول للوكالة كحوائط حاملة، أما باقي الوكالة فبني من الآجر الأحمر (الطوب أو القرميد الأحمر) وغطي بطبقة من الجير. كما استعمل في واجهة الوكالة والطابق الأرضي والأول من الداخل، التشكيل اللوني "المشهر"، وهو استخدام اللونين الأصفر والأسود في طلاء الحجر، وهو نوع من الزخرفة استُخدم منذ بداية العصر المملوكي.

ومع مرور الزمن، تهالك الكثير من عناصر "وكالة بازرعة" ووحداتها المعمارية، كما أصابت التصدعات جدرانها، ولم تسلم أسقفها من تهالك وسقوط أجزاء كثيرة منها، ناهيك عن سوء حال أخشاب الوكالة، من أبواب وشبابيك ومشربيات تمثل روعة وجمال فن الأرابيسك، وتآكل بلاطها وأرضيتها. وفي عام ١٩٩٦م تنبه القائمون على الآثار لهذه القيمة الأثرية الفريدة، وأعادوا ترميمها بكفاءة وأعيدت للحياة مرة أخرى. استغرق الترميم حوالي خمس سنوات لتفتتح الوكالة في عام ٢٠٠١م، وتصبح مثل وكالة "الغوري"، حيث تشهد العديد من الأحداث والفعاليات الثقافية والفنية. ■

(*) كاتب وأكاديمي / مصر.

hiragate.com

عبد الحميد محمد الراوي*

المسرح
بين الواقع والمأمول

للكاتب العربي والإسلامي، الدور الكبير في الاستعانة بالتاريخ الإسلامي بكل رموزه الثورية والأخلاقية التي ارتبطت بالأغلبية العظمى من الناس. وبمضي الزمن وبرغم التطور الواضح في خطط الإخراج أو أجهزة التكنولوجيا الحديثة، ومدارس التمثيل التي ارتقت بأداء الممثل نحو الأفضل، إلا أن مسرحنا العربي -رغم نجاحه وتألقه في أواسط الستينات والسبعينات- أخذ يتراجع ويغرق في التنظير الإخراجي، والمذاهب المسرحية العديدة والبعيدة عن مجتمعنا العربي والإسلامي؛ كاستخدام الأسطورة والميثولوجيا اليونانية بدون وعي، ووصل الحد ببعض المسرحيين إلى اللجوء لعدة طرق ميتافيزيقية لا ترتبط بأي علم من علوم المسرح، ليقفزوا فوق تقاليدنا وعاداتنا وتراثنا بعروض مسرحية هابطة.. وعمد الكثير منهم إلى إشاعة المفاهيم المتخلفة، والهزء من قيمنا ومبادئنا وتقاليدنا التي ورثناها عن الأجداد، ودعوا إلى تقليد الغرب في المسلك والملبس دون الجوهر والعلم، وبث النكات البعيدة عن الذوق والحشمة والمنطق، مستجدين الضحك والتسلية الساذجة الفارغة من أي مضمون، همهم الربح المادي، وغايتهم جيب الإنسان لا عقله.

المسرح الهوية

منذ أكثر من قرن وما زال مسرحنا العربي لم يؤسس له تقاليد مسرحية خاصة به، أو يجد له هوية واضحة المعالم ضمن المدارس المسرحية العالمية، بل وساهم -بقصد أو بغير قصد- في إنجاب مسرح هجين يدعوه "المسرح التجاري" الذي لا يهتم بتربية الأجيال، ولا بالخلق القويم، ولا بتاريخ الأمة ومستقبلها.

لذا فقد آن الأوان لإيجاد البديل النموذجي، الذي يستطيع استيعاب روح العصر بقدرة ووعي قائم على عقيدة ذهنية عالية، تتسم بالتوجه الإسلامي للمسرح الذي يرتبط بالتجربة الإنسانية المميزة والملتزمة، دون فقدان هويته واستقلاليته، سواء في التعبير أو الهدف أو الشكل الفني العام، لأن منطق العصر وروح الحضارة والوعي المتزايد في المجتمع، يطالبنا كمثقفين وأدباء وفنانين، أن نولي هذا المسرح الأهمية.

مسرح التعليم الأخلاقي

إن المسرح الذي ننشده اليوم ونسعى لأن نراه غدًا، هو المسرح الذي يستنبط من التاريخ الإسلامي أقدس وأنبل وأعظم ما فيه من قيم ومبادئ ومآثر تربوية وأخلاقية، تبني الإنسان المسلم، وتشده إلى أخيه المسلم في أي قطر أو بقعة في العالم، ليحاور ويتعاون مع الآخرين، محاولاً البحث دومًا عن أشكال جديدة، مفسرًا الأحداث والمواقف والمعضلات الكونية، بعيدًا عن الابتذال والتهريج، ساعيًا إلى التغيير الذي يخدم الإنسان ويحصن الجيل الناشئ ويرتقي به، ويسمو بقدراته العقلية، ويطوع قواه الجبارة لخدمة المجتمع الإسلامي الذي يعاني من ثغرات في موكب مسيرة أجياله.. وقوانين المسرح بإمكانها أن تحول تلك التعاليم الأخلاقية، من كلمات صامتة إلى صورة حية مؤثرة.

إن المسرح الإسلامي ينطلق متوهجًا من كنز روحي ثمين هو القرآن الكريم، وما فيه من قصص وحكم وملاحم شعرية، ومآثر وأحاديث الرسول ﷺ والصحابة الكرام، والقادة المسلمين وجندهم، ومواقفهم الرجولية والمبدئية الرائعة، سواء في نشر مبادئ الإسلام السمحة، أو في نكران الذات واحترام الإنسان، وعلو قيمة المبادئ وتقديس العلم والمعرفة. إن تاريخ الإسلام مليء بالمواقف العظيمة، سواء في تحقيق العدالة الاجتماعية واحترام حرية الفرد والجماعة والشورى في الحكم، أو في الاستشهاد والأمانة وتقديس العهد والميثاق، أو في التسامح الإنساني واحترام الأديان الأخرى وتبادل الحوار معها لما فيه الخير للجميع.. ولا أحد ينكر دور الحضارة الإسلامية في الغرب.

هويتنا في المسرح

إن مسرحنا الإسلامي الذي ننشده، مطالب بأن يسل من بطون كتب التاريخ والسيرة أعظم الرجال والمسلمين، الذين أبدعوا في شتى الفنون والمعارف، وأن يغرف من التراث أجمل وأروع وأندر ما فيه من حكايات مأثورة وطريفة.

ومن مجتمعنا الإسلامي المعاصر شذرات مضيئة في التربية والعلم والشجاعة والأخلاق والمآثر الأخرى، لذا فلا بد من إيجاد كتاب مسرح مسلمين. فلقد فشل منظروا المسرح العربي في إيجاد ملامح خاصة لمسرح عربي، لأنهم -ببساطة- قلدوا الغرب واستنسخوا

ما فيه من مذاهب ومدارس فنية طيلة عشرات السنين، ورغم الدعوة للعودة إلى التراث، إلا أنهم ألبسوه رداء غربيًّا وغريبًا عنه، فظل تائهًا لا يعرف الطريق، لأن في الرداء قلنسوة عصبت عينيه ففقد بريقها، ولم يعد يتلمس طريقه إلا بإرشاد من ألبسوه الرداء.

إن ما يؤسف له جدًّا، هو اتجاه البعض إلى تقليد ما ورثناه من الآخر من تجارب مسرحية، بفعل دراستهم وتخصصهم وانقطاعهم عن المجتمع العربي والإسلامي، وفقرهم الثقافي وعجزهم عن الغوص في المجتمع وتاريخه، فبقوا يراوحون في دائرة التقليد الأعمي للمبدعين في الغرب، ويطلقون تسميات غريبة لما يدعونه من مسرح مستغلين جهل الجمهور وبعض أصحاب الرأي والقرار بما يعرضون.

والمؤسف أيضًا؛ أن تقام مهرجانات محلية أو عربية وكل نصوصها لكتاب أجانب عالجوا مواضع تخص مجتمعهم، يحللون ويحذفون ما شاء لهم بحجة التعريب، لمنح العرض المسرحي صيغة محلية أو عربية، متناسين أن لكل نص مسرحي نكهة ومعنى خاصًّا به، والأفضل لو عرض كما هو.. ومن المحزن أن يقوم بعض المخرجين بتقليد ما شاهدوه من مسرحيات أجنبية، وينقلوه حرفيًّا إلى بلدانهم، مما يؤدي إلى فقدان هذا المخرج مصداقيته.

المضامين الجادة للمسرح

المسرح الإسلامي منبه ومرشد للمسؤولين ورجال الفكر والأدب والتربية، إلى اتخاذ الحكمة والموعظة الطيبة والتسامح والصدق في تشبيه أمور الناس بعدل ومساواة، واتخاذ السيرة النبوية والخلفاء الراشدين ومن تبعهم، دليلاً ومنارًا.

لقد آن الأوان أن يبرز إلى الساحة العالمية ويتوهج بقوة نور المسرح الإسلامي، وتدوي صرخته الدافئة والمليئة ثقافة وفكرًا؛ لأنه الوحيد المؤهل لقيادة الحركة الفنية التي بإمكانها النهوض بالإنسان إلى مستوى يليق به كبشر أعزه الله ﷻ بالعقل دون سائر المخلوقات، لنتجاوز الرؤية المتخلفة عند البعض لهذا الميدان الذي لمسنا مشاهد منه في صدر الإسلام عبر الدعوة الإسلامية، أو في معارك الجهاد، أو في الفتح الإسلامي، أو في العصور الأموية والعباسية والأندلسية، أو في العشق والزهد والحب العذري.. ليكون أداة تنوير في العقول ولنلحق بالركب الحضاري للإنسانية.

إن مسرحنا الإسلامي يتفرد ويتميز باستقراء احتياجات العصر والواقع، مستلهمًا من النهج والتاريخ الإسلامي تصورًا واضحًا للعالم في الحاضر والمستقبل، دون أن ينسى معالجة السلبيات الدخيلة على المجتمع المسلم، والتي لامست العديد من الأفراد فتأثروا بها. لذا فلا بد من تطهيرهم بدراما الكلمات والصور المسرحية التي تنبض بأحاسيس نبيلة، لتذوب صخور الشر والحقد والحسد والكذب والسرقة.

وقد استطاع الصحابة ﷺ أن ينقلوا انفعالاتهم بأدوات فنية ذات ارتباط وثيق بهذا الاتجاه، فكان تداعي المعاني أسلوبًا عملت الحكاية والقصة والصورة على إخراجه وتجسيده، ومتى ما جعلنا الصدق الفني رديفًا للصدق الخلقي في السلوك والالتزام والعرض المسرحي، كفلنا له عمق الأثر وقوة التأثير وشدة الاستجابة والتأثر لدى المشاهد.

المسرح في الإسلام، رسالة تبدأ بتربية ذوق المسلم تربية جمالية مهذبة، وتنتهي بتشكيل عقله ووجدانه تشكيلاً موافقًا للعقيدة الإسلامية في شمول تصورها وإيجابيته وواقعيته، متفتحًا باتجاه كل ما هو خير ومفيد.

حراء

كيف ندخل المسرح في منظومة التوجيه؟

إن العمل من أجل نشر قيم أو مبادئ الإسلام، وتعميق جذوره في النفوس لبناء جيل واع لرسالته في الدنيا، ليس واقفًا على علماء الدين وحدهم، أو على من اتخذ من الدين ستارًا يكسب من ورائه منافع وغايات دنيوية أو إعلامية، أو غيرها من أطماع ومكاسب زائلة كالسراب، أو كلمات وعظ ملت لكثرة ما قيلت.. بقدر ما هو ثورة ورسالة تنطلق من العقل والوجدان، يحملها رجل الدين الصالح مع الفنان المسرحي المسلم والملتزم، ليهذبا الأجيال ويربيا النشء والفتيات، وينصحا الشباب، ويحاورا الكبار، ويناظرا المسؤولين في أقصر الطرق وأصلحها؛ لبناء المجتمع المتكامل الذي ينشد الرقي والسعادة والحضارة.

إن ريح الأفكار الجديدة والمناهج العلمية والفنية، تطرق أبوابنا بعنف وقوة، سواء رضينا أم لم نرض فهي داخلة بيوتنا رغم إرادتنا، لذا فلا يجوز أن نظل متفرجين ومستسلمين، أو رافضين بتزمت بقدر ما نستفيد ونفيد، ونطوع هذه الريح لاقتلاع الأفكار اليابسة والمستوردة والغريبة، التي أصبحت أشواكًا تسد الطريق نحو سعادة الإنسان المسلم، لأن الفعل ليس لتقنية السلاح بقدر ما هو لمهارة ودقة وشجاعة اليد التي تحمل السلاح، وللعقل الذي يتحكم فيه.

ماذا نجنيه من المسرح؟

لم يعد المسرح مصدر رزق فحسب أو شهادات جامعية تمنح باسمه لأعلى المستويات، بل تكتمل شخصية الفرد فيه؛ فالمسرح يعلم الخطابة والجرأة وسهولة اللفظ والقدرة على الإلقاء الشعري والموعظة الدينية وسرعة البديهة، ويحل عقد اللسان ويذيب الخوف في قلب الإنسان، عبر مواجهة مئات وآلاف الناس برباطة جأش وجهًا لوجه.. بل ويؤثر فيهم بالحركة والانفعال والصوت الجهوري أو الشجي واللون والموسيقي.

إن المسرح يحوي كل المعارف الإنسانية، وهو موسوعة أدبية وفنية وفكرية، لذا وقبل أن يدركنا الوقت أو تعمي أبصارنا عاصفة المسارح المختلفة، أو تخفي عيوننا في الرمال، يجب -وبشجاعة- أن نحطم زاوية النظر الأحادية القائمة على رواسب الماضي، التي تحمل الجانب السلبي بدلاً من السيطرة على قدراته الخلاقة وتطويعه لأفكار الخير، كونه الأداة الأكثر تأثيرًا في الناس، وكونه المنبر الخطابي الذي يحمل صورًا مؤثرة مع الكلمات لتصحيح ما علق من تشويهات في تاريخنا الإسلامي، مؤمنين بأن ما ساد بعض دولنا ومجتمعاتنا الإسلامية من معارك يندي لها الجبين، مرده إلى أن البعض لا يسمع رأي الجانب الآخر، بل وفتحوا الآذان والصدور للرأي الأجنبي الدخيل أن يتحكم فيهم بفعل عوامل معروفة وواضحة.. وكانت الكارثة حيث شلوا عن عمد قدرة وإبداع وموهبة الفكر والمثقف والفنان الإسلامي، وخنقوا كلماته التي تنبض صدقًا وتنشد حقًّا، والتي بإمكان خشبة المسرح أن توصلها لكل من يهمهم ويعنيهم الأمر ببساطة ووضوح، دون انفعال أو صراخ.

إننا جميعًا كتاب مسرح، وشعراء، وصحافيون، وأدباء، وكل من يهمه الإنسان والكلمة والثقافة، مدعو لتبنّي بناء المسرح الإسلامي في كل الأقطار العربية والإسلامية، الذي يمتلك خصوصية المنهج، وثراء الفكر، وعلو المبادئ، والسمو الأخلاقي، كرسالة تبدأ بتربية ذوق المسلم تربية جمالية مهذبة، وتنتهي بتشكيل عقله ووجدانه تشكيلاً موافقًا للعقيدة الإسلامية في شمول تصورها وإيجابيته وواقعيته، متفتحًا باتجاه كل ما هو خير ومفيد، من شأنه أن يعلو بالإنسان كأفضل كائن خلقه الله وأعزه على سائر المخلوقات في الأرض. ■

(*) كاتب وباحث مصري.

hiragate.com

أحمد بسيوني عبد الرؤوف*

أبجديات منهجية غائبة
في الدراسات التراثية المعاصرة

في حياتنا الثقافية والفكرية الحاضرة، ثمة ظواهر عديدة تدلل على أن خللاً خطيرًا بدأ يدب في هذه الحياة، وعلى وجه التحديد فإن الخلل قد أصاب مادة هذه الحركة الثقافية والفكرية وقوامها؛ أعني الحقيقة ومكانتها ومفاهيمها وضوابط البحث عنها.

فلقد تحولت الأبحاث الثقافية والفكرية المعاصرة عن دورها الأساسي العلمي والأخلاقي، في الكشف عن الحقيقة وتجليتها للأذهان، وإضاءة جوانبها والتجرد لها إلى نوع من الاستثمار والتوظيف لهذه الأبحاث، من أجل طمس الحقيقة والتعتيم على معالمها، والاحتيال على مرتكزات البحث فيها وضوابطه البديهية.. ويحدث هذا الخلل تحت تأثير دوافع شتى ونوازع متباينة من الاستئجار السياسي، إلى الانتماء التنظيمي أو العقائدي إلى الولاء المادي والأدبي لبعض المؤسسات السخية، إلا أن الجريمة على كل حال واحدة وثابتة، ألا وهي قتل الحقيقة.

ولم ينأ البحث في تراثنا العربي والإسلامي عن انعكاسات هذه الحالة المرضية المؤسفة[1]، بل لا نتجاوز العدل إذا قلنا إن هذا التراث بفعل التحولات الاجتماعية الجديدة، قد ناله القسط الأكبر من هذا الطمس والتعتيم والاحتيال من كافة الاتجاهات الرافضة أو المعادية له.. وعلى الرغم من براعة هؤلاء المحترفين، إلا أننا لا نعدم الوقوف على إشارة هنا أو لمحة هناك من عثرات القلب

التراث هو النتاج الإنساني الذي يخلفه السابق للاحق، ولا يجوز بحال الخلط بين الوحي الرباني وبين هذا النتاج البشري، فلكلٍّ خصائصه ومعالمه ومقوماته الذاتية، وإن الخلط بين كلا المنهجين، من شأنه أن يسقط كافة نتائج البحث.

وفلتات القلم، التي يشاء الله تعالى أن يكشف للناس من خلالها، الهوية الحقيقية لهذه الأبحاث ونوايا أصحابها تجاه التراث. وهكذا وجدنا من يقرر منهم في بحثه حول التراث، أن مثل هذا البحث لا يعنيه البحث عن قيمة ذاتية متجردة في التراث، وإنما هي طريقة لازمة لأصحاب الأيديولوجيات التقدمية، كي يستطيعوا النفاذ من خلالها إلى الجماهير المسلمة عن طريق لغة التراث وتحت رايته، بحيث يدمجوا قضايا التراث في قوالبهم الأيديولوجية[٢].

إن مما لا ريب فيه، أن مثل هذه الظواهر وتلك المواقف، تعطينا المبرر الأخلاقي والموضوعي، لتعرية أصحابها وكشف زيف كتاباتهم، وإضاءة الجوانب الخفية والخطيرة التي يتحركون من خلالها، بهدف محاولة تدمير هذا التراث أو التعتيم على جوانب الحقيقة فيه.

وعلى هذا السبيل نرى من الضروري في هذا المقام، الكشف عن بعض القواعد العلمية والضوابط المنهجية المشروطة لأي بحث في التراث، ولا سيما تلك التي أهدرت عمدًا في العديد من دراسات المعاصرين. وبداية ينبغي التنبيه من أن المراد بالتراث بالضبط الاصطلاحي المتواضع عليه، هو النتاج العقلي والنفسي والحركي والوجداني بكل تشعباته، التي أفرزها الوجود العربي الإسلامي في حقبه المختلفة، وأن الحديث عن القرآن المجيد والسنة المشرفة بوصفهما تراثًا، هو من قبيل التجوز غير المحمود -من وجهة نظرنا- في أحيان كثيرة؛ فالتراث هو النتاج الإنساني الذي يخلفه السابق للاحق، ومن ثم فلا يجوز بحال الخلط بين الوحي الرباني وبين هذا النتاج البشري، فلكلٍّ خصائصه ومعالمه ومقوماته الذاتية، وبالتالي فلكلٍّ منهجه في النظر والبحث الذي تقتضيه خصوصياته، وأن الخلط بين كلا المنهجين من شأنه أن يسقط كافة نتائج البحث حيث ترتبت على فساد منهجي، وفوق ذلك فإن من شأنه أن يسقط وصف النزاهة العلمية عن صاحبه.

وفي الإجمال، فإن النظر في الوحي وما ارتبط به من اجتهاد، سواء كان هذا النظر على وجه الإنشاء أو على وجه المفاضلة والترجيح، لا يجوز إلا لمن استكمل شرائط الاجتهاد الشرعي وقواعده العلمية المثبتة في كتب أهل العلم.

حيادية البحث وموضوعية التحليل

إن الموقف التاريخي بوصفه حالة إنسانية صاغتها عدة حوادث جزئية، ينبغي للباحث أن يقرأه من خلال هذه الجزئيات المفردة التي شكلته وصاغته، ولا يجوز لباحث أن يتقدم بإضافة أو حذف حسب رؤيته الشخصية عند محاولته استحضار الموقف التاريخي، إذ من المتقرر أن التاريخ -بوصفه علمًا- هو ما يُرى لا ما يتخيل، وأن الموقف التاريخي -بوصفه نتاجًا لحادثات وقعت- هو ما كان فعلاً لا ما يجب أن يكون.

وبالتالي فنحن مضطرون إلى إسقاط كافة النتائج والتحليلات التي خرج بها باحث قد قرر سلفًا أن النظرية الاشتراكية العلمية هي المنظار الذي يجب أن ننظر من خلاله إلى التراث، فما استقام منه لها قبلناه "وأما ما لا يستجيب منه لذلك فإنه يعزل تاريخيًا"[٣].

وأقول يجب إسقاط كافة نتائج هذا البحث وتحليلاته، لأنها -حسب منهجه- لن تخرج عن كونها حلمًا موهومًا انقدح في مخيلة الباحث تحت ضغط أهواء فاسدة مترسبة فيها، ولن تتحول أبدًا إلى تحقيق علمي تاريخي أو تراثي.

صرامة البحث وأخلاقياته

إن هذا التراث من حيث جذوره العميقة وروافده الجوهرية وروحه العامة، يمثل إفرازًا دينيًا بكل أبعاده، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن هذا التراث من حيث نتائجه العقلية والمعرفية، وحركاته السياسية، وإبداعاته الوجدانية والإنسانية في شتى مناحي النشاط

hiragate.com

الإنساني، هو بمثابة ضمير أمة بأسرها، تناقلته وأثرته عبر أجيالها المتعددة، ومن ثم كان البحث في هذا التراث يتعرض حتمًا للخوض في ضمير أمة أو قضية دين، مما يكون من شأنه فرض صرامة ودقة في البحث أشد ما تكون الصرامة والدقة، وأخلاقيات في التناول أسمى ما تكون الأخلاقيات لجلال الأمر وخطورته.

كما أننا حين ننسب حركة ما، أو موقفًا ما، أو مذهبًا ما إلى الإسلام، فإنه يلزمنا ضرورة أن نحاكم تلك الحركة أو ذلك الموقف أو هذا المذهب إلى الإسلام ذاته ووفق قواعده، وبالتالي يجب إخضاع ذلك كله لهيمنة القرآن والسنة، بوصفهما مادة الإسلام وقوامه، وأن أي تجاوز لتلك المبدئية المنهجية تحت أي دعوى كانت، لن يعدو كونه افتئاتًا على الإسلام وتعتيمًا على الحقيقة وتعمدًا للإضلال.

خصوصية حركة التاريخ الإسلامي

إن التراث الإسلامي بوصفه نتاجًا لخصوصيات حضارية متميزة قامت وارتبطت ببناء عقائدي وعبادي وتشريعي وقيمي متميز، لا يصح ولا يجوز ضبطه وفقًا لقوالب ومفاهيم ومصطلحات غريبة عنه، تمثل إفرازات لخصوصية حضارية أخرى قامت وارتبطت ببناء عقائدي وعبادي وقيمي وتشريعي مخالف أو مناقض للخصوصية الإسلامية، لأن مثل هذا الإخضاع والضبط لن يخلو من أحد أمرين:

إما أن يؤدي بالباحث إلى تعديل هذا القالب أو المفهوم أو المصطلح الغريب في حدوده ودلالته وإيحاءاته، وبذلك يفقد مصداقيته العلمية الذاتية، مما يجعل اللجوء إليه على هذه الحال محض عبث غير مبرر.

وإما أن يؤدي بالباحث إلى تعديل مفاهيم التراث ذاته وحقائقه ومعالمه، بحيث يمكن تفريغها في هذه القوالب المجلوبة أو ضبطها وفق هذه المفاهيم أو الاصطلاحات الوافدة، وفي ذلك ضلال أي ضلال، وحيف أي حيف، وإهدار للحقيقة بكل معاني الإهدار.

فمحاولة إقحام تعبير القرون الوسطى -على سبيل المثال- كقالب تاريخي تضبط من خلاله حركة التاريخ الإسلامي وتراثه، سيؤدي حتمًا إلى إهدار الحقيقة العلمية والتاريخية على النحو الذي بيّناه آنفًا.

إذ من المعروف أن تعبير القرون الوسطى، كان إفرازًا لخصوصية تاريخية في الحضارة الأوروبية، وهو موضوع هناك -على وجه التحديد- للتعبير عن العصور الأوروبية المظلمة التي توسطت بين إشراقات الحضارة الهيلينية، والبعث الحضاري الأوروبي الحديث؛ أي إنه يعني في حركة التاريخ الإنساني العام، تلك المرحلة التاريخية التي برزت فيها إشعاعات الحضارة الإسلامية المبدعة والخلاقة، حيث هيمنت على حركة الفكر في التاريخ الإنساني.. فإذا ما أراد باحث نقل هذا القالب التاريخي ليضبط من خلاله حركة التاريخ الإسلامي، فهو إن التزم حدوده ودلالته وإيحاءاته، سينتهي حتمًا إلى جعل عصور النهضة الحضارية الإسلامية الوضيئة، عصور ظلام وانحطاط، وبالتالي يتعامل مع إفرازاتها الفكرية والثقافية والمعرفية والإنسانية من هذا المنظور، وهذا هو الغالب الشائع في دراسات المعاصرين ممن لجأوا إلى هذا القالب.

وإما أن يعمد الباحث إلى التبديل والتحوير والتغيير في حدود هذا القالب ومعطياته وإيحاءاته، وهنا يحق أن نسأل: ما هي إذن الضرورة العلمية الملحة التي تجعلني كباحث، ألجأ إلى هذا القالب التاريخي الغريب إذا كنت قد تثبت من عدم مصداقيته للتعامل مع حركة التاريخ الإسلامي؟ اللهم إلا أن يكون الأمر تعبيرًا عن روح الهزيمة النفسية أمام النموذج الأوروبي، أو قصدًا إلى التشويش على العقول والتعتيم على الحقيقة، أو عدم إدراك لهذا الواقع. ■

(*) كاتب وباحث مصري.

الهوامش

(1) في تعليقه على دراسات الدكتور محمد النويهي في التراث يقول الدكتور طيب تيزيني: "إنها حلقة متقدمة من تكتيك فكري سياسي"، "من التراث إلى الثورة"، ص:٣٦٧، طبعة بيروت الثالثة ١٩٧٩م.

(2) في سبيل ثقافة عربية ذاتية، عبد الله النديم، ص:١١٢-١١٣، طبعة بيروت الأولى ١٩٨٣م.

(3) من التراث إلى الثورة، الدكتور طيب تيزين، ص:١١٠٣.

hiragate.com

د. جمال بن فضل الحوشبي*

اللاجئون

لم تكن المؤاخاة التي أعقبت الهجرة العطرة، ووقعت بين المهاجرين والأنصار، حدثًا تاريخيًّا عابرًا، بل منهجًا إنسانيًّا رفيعًا في التعامل لا مثيل له، ولا تزال دروسه حاضرة على الدوام كلما مخرت قوارب اللاجئين البحار، وتقاطرت قوافل النازحين فرارًا من بيئات الظلم والحروب والكوارث.. وفيما يلي جملة من الوصايا التي نخرج بها في ضوء ما جرى للمهاجرين الكرام، وإخوانهم الأنصار الذين ساندوهم وقدموا لهم الحماية والدعم في دار إقامتهم الجديدة.

لمحة تاريخية

حالما فرغ المسلمون من بيعة العقبة الثانية في موسم الحج سنة ١٣ من النبوة، بدأت الهجرة العامة للمسلمين صوب المدينة. وقد أري رسول الله ﷺ دار هجرة المسلمين وأخبرهم بها، فقال ﷺ: "رأيت أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل، فذهب وهَلي (أي ظني) إلى اليمامة أو هجر، فإذا هي المدينة يثرب" (رواه البخاري)، وفي رواية: أريت دار هجرتكم سَبخة بين ظهراني حرتين، فإما أن يكون هجر أو يثرب" (رواه البيهقي).

وأول من هاجر أبو سلمة المخزومي زوج أم سلمة، ثم لحقته زوجته وولده بعدها بنحو سنة. وهاجر بعده عامر بن ربيعة وزوجته، وعبد الله بن أم مكتوم. ثم تتابعت هجرة المسلمين، فكانوا يتسلّلون خفية خشية قريش، فلما هاجر عمر بن الخطاب خرج علنًا وتحدّى قريشًا، فلم يجترئ أحد على الوقوف في وجهه. وهاجر المسلمون كلهم إلى المدينة، ورجع إليها عامة من كان بأرض الحبشة. ولم يبق بمكة منهم إلا أبو بكر، وعلي، وصهيب، وزيد بن حارثة، وقليل من المستضعفين الذين لم يقدروا على الهجرة.

وكان من سجايا الأنصار وكرمهم، أنهم كانوا يتنافسون في إنزال المهاجرين واستضافتهم في بيوتهم، ثم زاد النبي ﷺ هذا الحب والإيثار قوة بعقد المؤاخاة بينهم وبين المهاجرين، فجعل كل أنصاري ونزيله أخوين، وكانوا تسعين رجلاً، نصفهم من المهاجرين ونصفهم من الأنصار، فآخى بينهم على المؤاساة، وأنهم يتوارثون فيما بينهم بعد الموت دون ذوي الأرحام، ثم نسخ التوارث وبقيت المؤاخاة، وكانت قد عقدت في دار أنس بن مالك رضي الله عنهم أجمعين.

١-الاستعداد الجيد والتخطيط الدقيق للهجرة

من أصعب القرارات التي يتخذها الشخص في حياته، مفارقة وطنه، وترك أهله وماله أحيانًا؛ فرارًا من الظلم، واستنقاذًا للنفس من القتل أو التعذيب أو الفتنة في الدين. ولا يعرف مرارة هذا القرار، وتبعاته إلا من ذاق قسوته، واكتوى بآثار الغربة وشدّة الفراق. وقد وجد

من أصعب القرارات التي يتخذها الشخص في حياته، مفارقة وطنه، وترك أهله وماله أحيانًا؛ فرارًا من الظلم، واستنقاذًا للنفس من القتل أو التعذيب أو الفتنة في الدين. ولا يعرف مرارة هذا القرار، وتبعاته إلا من ذاق قسوته، واكتوى بآثار الغربة وشدّة الفراق.

ذلك رسول الله ﷺ حيث فاضت عينه، وجاشت نفسه بكلمات حزينة وهو يهمّ بفراق مراتع الصبا، وينظر إلى مكة المكرمة النظرة الأخيرة؛ عن عبد الله بن عدي بن الحمراء قال: رأيت رسول الله ﷺ وهو على ناقته واقف بالحزورة يقول: "والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلي، والله لولا أني أخرجت منك ما خرجت" (رواه ابن ماجه).

غير أن هذا الحزن القلبي لم يمنع رسول الله ﷺ وأصحابه من التخطيط الدقيق لهجرتهم، وتحديد مكان إقامتهم الجديد بدقة، وتهيئة احتياجات الرحلة الصعبة، والتخفّف من الأمانات والديون قبيل الانطلاق. ومما يجب على المهاجر القيام به قبيل اتخاذ قراره المصيري هذا: استخارة ربّه، واستشارة الصادقين الناصحين من إخوانه، ثم العزم والتوكل على الله تعالى وعدم التردد، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾(آل عمران:١٥٩)، والمعنى: إذا اتخذت كل التدابير، وترجّح أمامك ذلك القرار، ثم عزمت عليه، فلا تتردد، بل توكل على الله تعالى وامض في طريقك بحذر.

وهذا التخطيط والحذر نجده ظاهرًا في أحداث الهجرة الأولى والثانية إلى الحبشة، ونلمحه بجلاء في الهجرة الكبرى إلى المدينة. ولكل مهاجر قصته الفذة في هذا المجال؛ قالت عائشة رضي الله عنها تحكي خبر هجرة رسول الله ﷺ وأبيها: فجهّزتُها أحثّ الجهاز، فصنعتُ لهما سُفرةً في جِراب، فقطعتْ أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فأوكت به الجراب، فبذلك كانت تسمى "ذات النطاقين". ومكثا في الغار ثلاثًا حتى

خمدت نار الطلب. فجاءهما ابن أريقط بالراحلتين فارتحلا، وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة.

٢–اتخاذ الرفيق الصالح في الطريق

مشقة الرحلة، ولوعة الفراق، وشدّة المعاناة يخفّفها اتخاذ الرفيق الصالح في السفر. ومع كون اتخاذ الرفقة من آداب السفر عمومًا في الإسلام، إلا أنها في حالات الهجرة والفرار تكاد تكون واحدًا من أهم القرارات وأكثرها تأثيرًا في دِين المهاجر ونفسيته وقراراته.

وقد خرج المهاجرون الكرام "أرسالاً مستخفين"، وهذان الأسلوبان من أهم أسباب النجاح، وتجاوز حدود الظالمين بسلام. أرسالاً أي: مجموعات مجموعات، مستخفين عن أعين من حولهم دفعة تلو أخرى، أي أنهم لم يكونوا يخرجون دفعة واحدة. ومما حفظت لنا كتب التاريخ في ذلك، تواعد عمر بن الخطاب، وعَيَّاش بن أبي ربيعة، وهشام بن العاص بن وائل على الهجرة معًا، حيث حدّدوا موضعًا اسمه التَّنَاضُب فوق سَرِف يُصبحون عنده، ثم يهاجرون إلى المدينة، فاجتمع عمر وعياش، وحبس عنهما هشام.

وحرص رسول الله ﷺ مبكرًا على اتخاذ الصاحب في طريق هجرته، فحين تجهز أبو بكر للهجرة قال له رسول الله ﷺ: "على رِسلك، فإني أرجو أن يؤذَن لي"، فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال: "نعم". فحبس أبو بكر نفسه عليه ليصحبه، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر استعدادًا لذلك. قالت عائشة رضي الله عنها تحكي خبر هجرة رسول الله ﷺ وأبيها: جاء رسول الله ﷺ إلى بيت أبي بكر، فاستأذن فأذن له، فقال رسول الله ﷺ: "فإنه قد أُذِن لي في الخروج"، قال أبو بكر: الصحبة بأبي أنت يا رسول الله، قال النبي ﷺ: "نعم". قالت فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحدًا يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكي من الفرح، ثم قال: يا نبيّ الله إنّ هاتين راحلتَيّ كنت أعددتهما لهذا.

وقد امتدح الله تعالى هذه الصحبة المباركة، وذكر أثرها في تخفيف أشدّ الحالات وأخطر اللحظات، فقال

جلّ شأنه: ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(التوبة:٤٠).

٣–الحذر من أساليب الأعداء

أخطر لحظات الهجرة، تلك التي تحدث في أعقاب انكشاف خطة المهاجر، أو اطلاع الظالمين على هدفه، أو تمكّنهم منه قُبيل مغادرة الحدود. ومع أنه قرار يكلف الفرد الكثير ويوقعه تحت ظلم المجرمين مجددًا، إلا أن هناك وسائل عدة يمكنه اتخاذها لفداء نفسه وإكمال طريقه، منها استعانته على من يعرف حاله ممن هو أرفع منزلة وأعلى رتبة، ومنها مقايضة من استدلّ عليه بالمال إن هو تركه يمضي في سبيله، كما فعل صهيب ﷺ حيث قال: هممت بالخروج مع رسول

hiragate.com

hiragate.com

الله ﷺ، وصدّني فَتيَان من قريش، فجعلت ليلتي تلك أقوم لا أقعد، فقالوا: قد شغله الله عنكم ببطنه، ولم أكن شاكيًا فناموا فخرجتُ، فلحقني منهم ناس بعدما سِرت يريدون ردّي، فقلت لهم: هل لكم أن أعطيكم أواقي من ذهب وسيرًا لي بمكة، وتخلّون سبيلي وتوثقون لي. ففعلوا فتبعتهم إلى مكة فقلت: احفروا تحت أسكفة الباب فإن تحتها الأواقي، فاذهبوا إلى فلانة بآية كذا وكذا، فخذوا الحليتين، وخرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ قباء قبل أن يتحول منها، فلما رآني قال: "يا أبا يحيى، ربح البيع"، ثلاثًا فقلت: يا رسول الله، ما سبقني إليك أحد وما أخبرك إلا جبريل.

٤-الاجتهاد في إحضار أهله واجتماع شمله

إذا تمكن المهاجر من مغادرة حدود الظالمين، أو البيئة التي خرج منها لأي سبب من الأسباب، فإن عليه أن يستخدم كل الوسائل المتاحة لإحضار أهله وولده، ومن

لقد تجاوزت علاقة الأنصار بإخوانهم المهاجرين منزلة بتقديم الدعم وتأمين الحماية وبذل الأموال، لتتحول العلاقة إلى رابطة إيمانية قوية، وأخوة حقيقية تفوق أخوّة النسب، وتظهر معها أرفع صور الحبّ والبذل والعطاء والتسامح.

حراء

استطاع من قرابته، ويتأكد عليه ذلك إذا غلب على ظنه بأنهم ربما تضرروا، أو تعرضوا للأذى بعد خروجه.

وهذا ما فعله رسول الله ﷺ وأبو بكر ﷺ بعد أيام من وصولهما المدينة؛ عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما هاجر رسول الله ﷺ خلَّفَنا أبو بكر وخلَّف بناته، فلما استقر بالمدينة بعث زيد بن حارثة، وبعث معه أبا رافع مولاه، وأعطاهما بعيرين وخمسمائة درهم يشتريان بها ما يحتاجان إليه، وبعث معهما عبد الله بن أريقط الدؤلي ببعيرين أو ثلاثة، وكتب إلى عبد الله بن أبي بكر أن يحمل أهله أم أبي بكر، وأم رومان، وأنا وأخي وأسماء امرأة الزبير، فخرجوا مصبحين حتى انتهوا إلى قديد.. ثم دخلوا مكة جميعًا، فصادفوا طلحة بن عبيد الله يريد الهجرة، فخرجنا جميعًا، وخرج زيد وأبو رافع بفاطمة، وأمّ كلثوم، وسودة بنت زمعة. وحمل زيد أم أيمن وولدها أيمن، وأسامة.. فلما قدمنا المدينة نزلتُ مع عيال أبي بكر، ونزل إلي النبي صلى الله ﷺ، وهو يومئذ يبني المسجد وأبياتًا حول المسجد، فأنزل فيها أهله، فمكثنا فيها أيامًا.

٥-تقديم النصرة للاجئين وحمايتهم ومساعدتهم

إذا وطئت أقدام المهاجر واللاجئ أرض إقامته الجديدة، فإن على أهل ذلك البلد أن يقفوا معه، ويؤمّنوا له الحماية الكافية، ويذلّلوا له الصعاب، ويخفّفوا عنه ألم الغربة، ويضمّدوا جراح الماضي، ويعينوه بالضرورات من الطعام والمسكن ونحوهما.

وأشرف من يذكر التاريخ صنيعهم، ويقف مبهورًا من مواقفهم: الأنصار الكرام الذين أثنى الله سبحانه

hiragate.com

عليهم، وامتدح محبتهم الصادقة لإخوانهم المهاجرين، ونصرتهم وإيثارهم إياهم على أنفسهم، بقوله جلّ شأنه: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(الحشر:٩).

وقد تجاوزت علاقة الأنصار بإخوانهم المهاجرين منزلة بتقديم الدعم وتأمين الحماية وبذل الأموال، لتتحول العلاقة إلى رابطة إيمانية قوية، وأخوة حقيقية تفوق أخوّة النسب، وتظهر معها أرفع صور الحبّ والبذل والعطاء والتسامح. ولما عرض الأنصار على إخوانهم المهاجرين تقسيم نخيلهم بالسوية فيما بينهم، أبى المهاجرون، فقال لهم الأنصار: إذن تكفونا المؤنة، ونشرككم في الثمرة، فقبلوا ذلك. وكان سعد بن الربيع أكثر الناس مالاً، فقال لأخيه المهاجر عبد الرحمن بن عوف: اقسم مالي نصفين، ولي امرأتان، فانظر أعجبهما إليك، فسمها لي، أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها، قال عبد الرحمن: بارك الله في أهلك ومالك. أين سوقكم؟ فدلوه على سوق بني قينقاع، فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن، وما هي إلا أيام حتى اكتسب مالاً، وتزوج امرأة من الأنصار.

٦–الاعتزاز بالهوية وشكر أهل الإحسان والتزام القوانين

من جملة ما يجب على اللاجئين في دارهم الجديدة، الوفاء ومقابلة الإحسان بالمثل، وهذه من الأخلاق الرفيعة التي يحبها الله تعالى ورسوله ﷺ، قال سبحانه: ﴿هَلْ جَزَاء الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾(الرحمن:٦٠). عن أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "من لم يشكر الناس لم يشكر الله" (رواه الترمذي).

وعلى اللاجئين والمهاجرين كذلك، التزام أنظمة الدولة الجديدة وقوانينها، والتعبير عن شكرها وشكر أهلها، والحرص على دعوتهم بلطف ولين، كما فعل الصحابة الكرام في أرض الحبشة، حين قرروا توحيد كلمتهم، واختيار ممثل لهم أمام النجاشي، يتحدث بلسانهم ويعبّر عن هويتهم وقيمهم. ولم يمنعهم سعي وفد قريش لإعادتهم، والوشاية بهم، والتعريض بعقيدتهم عند النجاشي أن يقولوا الحقيقة، ويجلّوا الأمر، ويُظهروا الظلم الذي تعرضوا له، والمبادئ العليا التي يؤمنون بها. ولما سأل النجاشي ممثل المهاجرين جعفر بن أبي طالب: ما هذا الدين الذي أنتم عليه؟ فارقتم دين قومكم ولم تدخلوا في يهودية ولا نصرانية! قال له جعفر بكل ثبات: أيها الملك، كنّا قومًا على الشرك، نعبد الأوثان، ونأكل الميتة، ونسيء الجوار، ونسفك الدماء، فبعث الله إلينا نبيًّا من أنفسنا، نعرف وفاءه وصدقه وأمانته، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الأرحام، وحسن الجوار، والكفّ عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئًا، وأمرنا بالصلاة، والزكاة، والصيام، ثم عدد له أمور الإسلام، فصدّقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من عند الله، فعبدنا الله وحده لا شريك له، ولم نشرك به شيئًا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا.. وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك. فلما سأله النجاشي: هل معك شيء مما جاء به؟ اختار له جعفر الآيات التي تناسب حاله، فقرأ عليه صدرًا من سورة مريم، فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم، ثم قال: إن هذا الكلام ليخرج من المشكاة التي جاء بها موسى، انطلقوا راشدين. والتفت إلى وفد قريش ثم قال: انصرفوا، لا والله لا أردّهم عليكم ولا أُنعمكم عينًا. وهذا الثبات على المبادئ من الضروريات التي يجب على اللاجئ والمهاجر أن يتمسك بها ويحافظ عليها، وذلك مما يرفع مكانته، كما حدث مع المهاجرين الكرام. ■

(*) المشرف العام لمركز رؤية الثقافي بـ"مكة المكرمة" / المملكة العربية السعودية.

hiragate.com

علوم

أ.د. هبة مهران*

الضغوط الحياتية وآثارها التدميرية

هل يمكن أن تؤثر ضغوط الحياة على خلايا المخ لدى الإنسان؟ ما مدى العلاقة بين الضغوطات الحياتية وخلايا المخ؟ هل يمكن أن تدمّر خلايا المخ عند الإنسان؟ تلك الأسئلة وغيرها، طرحها العلماء بعد أن لاحظوا ارتباط ظاهرة تدمير خلايا المخ بالضغوط الحياتية التي يتعرض لها المرضى.

نعرف أن كل موقف ضاغط، يستثير القدرة التكيفية للجسم، ومهما كان شكل الضغط -سلبيًا أو إيجابيًا- فإن استمراره سوف يؤدي إلى استنزاف هذه القدرة، وبالتالي يكون الجسم عرضة للاضطرابات والمرض. ومما تجدر ملاحظته، أن هذه الاضطرابات أو الأمراض، لا تكون مصاحبة لكل موقف ضاغط، وإنما الأثر هو عملية تراكمية تظهر أعراضه عندما تتجمع الأحداث على مدى زمن طويل وتؤدي إلى الإصابة، وقد يقوم أحد هذه الضغوط البسيطة بدور القشة التي تقصم ظهر البعير.

ففي عالم اختلفت فيه القيم وانهمرت عليه الأحداث كالطوفان، وفي مجتمع ينتمي إلى العالم النامي، ويئن من وطأة التخلف وانهيار أمل التقدم السريع، ويقاسي ثلاثة أرباع أفراده من الأمية الثقافية وشبه الأمية الأبجدية.. في مجتمع مثل هذا، لا بد وأن تساعد فيه أنماط الحياة على مزيد من انتشار الاضطرابات النفسية.

ومجتمعنا العربي تنتشر فيه الاضطرابات النفسية بكثرة مما تؤثر في القدرة على اتخاذ القرار السليم، وتوجد مؤشرات عديدة تشهد على ذلك؛ ففي دراسة أجريت على فريق من عمال الصناعة، وجد أن ٥ إلى ٦ بالمئة يتلقون العلاج فعلاً من أمراض نفسية، وإذا أدخلنا في اعتبارنا أنه في مقابل كل شخص يتلقى العلاج بالفعل، يوجد ما لا يقل عن عشرة أشخاص يعانون من اضطرابات نفسية لكنهم لا يتلقون العلاج لأسباب مختلفة، فإن النسبة الحقيقية لانتشار الاضطرابات النفسية بين العاملين تقرب من ٦٠٪.

هذه مؤشرات لا يمكن تجاهلها، خاصة إذا علمنا أن الاضطرابات النفسية الشائعة لدينا كثيرة؛ كالقلق،

والمخاوف، وفقدان الثقة بالنفس، ومشاعر الاكتئاب، والغضب غير المحكوم، وسرعة الاستثارة، والعجز عن التركيز أو الاستيعاب، والأرق، والتوتر.

وقد وجدنا من خلال خبرتنا الشخصية، أن إحدى الصفات التي تتميز بها الصورة العربية في عدد كبير من الحالات المرضية، وجود عنصري الشعور بالهجر مع الشعور بالتوتر الشديد، وهما بناء مركب يدخل في تركيبه -عادة- عدد من الاضطرابات معًا، ويندر أن يحتوي على اضطراب واحد، كما أن هذا البناء يحمل في ثناياه بعض العناصر التي تشير إلى كيفية نشأته، واحتمالات ما له من تأثيرات، وعلى هذا الأساس يمكن القول بوجود صور مرضية خاصة بالمجتمع العربي.

قد يقال إننا نعيش في مجتمع يعاني من حالة انقسام ثقافي، فيه الثقافة المحلية والثقافة الغربية، والثقافة القديمة والثقافة الحديثة، فهل يكون هذا الانقسام أحد أسباب انتشار الاضطرابات النفسية؟ الإجابة بالقطع: نعم. ونحن نتعرض في مجتمعنا لنماذج مختلفة من السلوكيات والقيم، وهي تعرض علينا من خلال قنوات عديدة، ويكون الاختلاف بين هذه النماذج أحيانًا محدودًا، وأحيانًا أخرى شاسعًا إلى درجة التعارض فيما بينها، وتسود بين مفكرينا وكتابنا هذه النماذج على محاور متباينة.

خطوات السيطرة على الاضطرابات

غني عن البيان، أنه ما من تصنيف من التصنيفات يمكن وصفه بأنه تصنيف موضوعي محكم، وغني عن البيان أيضًا أن كلا من هذه التصنيفات ينضح بموقف عقيدي أو أيديولوجي مسبق للقائل به، وغني عن البيان كذلك أن كلا من هذه التصنيفات يصدق على عدد محدود من النماذج المعروضة علينا، لكنه لا يستوعب معظمها إلا بكثير من الافتعال الذي يصل إلى درجة التعسف. أما ما يبدو أمامنا على أنه ارتباط بين توزع للولاء تمليه التصنيفات، وبين الاضطراب النفسي، فهو ارتباط ضعيف وإن كان قائمًا فعلاً، وهو يقوم على أساس معقد لا على أساس بسيط، بمعنى أنه يستند إلى دعامتين:

الأولى: ما يكتشفه الشخص أحيانًا من تعارض حاد يعجز هو عن التوفيق بين طرفيه، وذلك نتيجة لارتضائه الأخذ ببعض النماذج، وهو أمر يحدث فعلاً لكنه قليل الحدوث، لأن قدرة الإنسان على التدبير فائقة.

الثانية: هي الدعوة المنطوية على التهديد التي تصحب عادة تقديم أحد التصنيفات المطروحة، ويكون التهديد في الغالب معنويًا ولكنه قد يكون ماديًا.. وأحيانًا هاتان الدعامتان -نعني التناقض الحياتي والتهديد- هما أساس الاقتران الذي نلحظه أحيانًا بين توزع الولاء والاضطراب، أو المرض النفسي.

ما من شك أن الحالة النفسية والبدنية الصحية، لها أعظم الأثر في القدرة الجيدة على اتخاذ وصنع القرار لدى القائد أو الرئيس أو المدير، إذ لا يمكن للجسم البشري أن يتحمل لفترة طويلة استمرار الإرهاق الناتج عن بذل الجهد الزائد، دون أن يمنح الجسد حقه في الراحة المطلوبة. فالإرهاق الفكري أو البدني، هو شكل من أشكال الضغوط الحياتية عند البعض، لأن هناك بعضًا آخر يدمن الإرهاق في العمل دون كلل أو ملل.

الاضطرابات النفسية عمومًا، لها الآثار السيئة على الأداء والتطور الإداري، ولعل القلق النفسي هو أكثر هذه الاضطرابات شيوعًا. وهناك أنواع كثيرة من القلق أهمها القلق الدفعي، الذي يعتري البعض ويكون في أغلب الأحيان، بسبب الدافع لنمو التفوق والنجاح. كما أن هناك القلق المرضي الذي عادة ما يظهر في صورة أعراض النسيان وعدم الثقة بالنفس، وغالبًا ما يرجع ظهور القلق المرضي إلى الفشل في إيجاد مناخ أسري وأخوي ملائم لسلامة التفكير، ووجود المناخ الهادئ، فالتوتر يكون هو الباعث على ظهور القلق المرضي.

إذا كان النوم الكافي هو ترمومتر الصحة الجيدة -وهو أمر هام لانتظام المخ في أداء عمله بصورة نشطة وجيدة- فإن عدم الحصول على القسط الكافي منه، يعد بداية لتدهور الصحة العامة، ولذلك يقول لنا المثل الشعبي "النوم سلطان"، والإنسان عليه أن يجعل حياته تدور في فلك مثلث، أضلاعه هي النوم الكافي والطعام الصحي والتمرينات الرياضية، وذلك في إطار عدم وضع حياة الإنسان في مهب الأخطار. هذا ولكي تكتمل سيمفونية الهدوء العصبي والنفسي، فإن على المرء أن يجعل منظومة حياته العملية مغلفة بحب الناس والتواضع والرحمة والحلم والرفق والحكمة والموعظة الحسنة. ■

(*) متخصصة في علم النفس السريري والعلاج النفسي السلوكي / مصر.

hiragate.com

شعر

أيمن العوامري*

يا نفس توبي

أَعْصِي الَّذِي فِي الْكَرْبِ لَا يَنْسَانِي ... وَأُطِيعُ مِنْكَ الْقَوْلَ يَا شَيْطَانِي

فَجَمَعْتُ زَادًا زَادَ فِي حِرْمَانِي ... وَطَرَحْتُ زَادًا لِلتُّقَى رَبَّانِي

وَقَسَمْتُ عُمْرِي قِسْمَةَ الْخُسْرَانِ ... وَضَرَبْتُ أَكْبَادَ السُّرَى الْحَيْرَانِ

مَا لِي تَرَكْتُ النَّفْعَ بِالْقُرْآنِ ... وَالسَّيْرَ فِي رَكْبِ النَّبِيِّ الْحَانِي

يَا نَفْسُ تُوبِي فَالرَّحِيلُ قَرِيبُ ... وَالْمَوْتُ دَاعٍ وَالنُّفُوسُ تُجِيبُ

وَالْعُمْرُ فَانٍ وَالْحَصَادُ جَدِيبُ ... وَالذَّنْبُ بَاقٍ وَالْحِسَابُ رَهِيبُ

هَلْ غَرَّنَا أَنَّ الْحَلِيمَ طَبِيبُ ... أَمْ غَرَّنَا أَنَّ الشَّفِيعَ حَبِيبُ

بَلْ إِنَّ حَظِّي فِي الْحُظُوظِ عَجِيبُ ... بَلْ إِنَّ وَجْهِي فِي الوُجُوهِ غَرِيبُ

تَعِبَ الشَّقِيُّ بِذَنْبِهِ وَبَلَاءِ ... وَالْقَلْبُ هَاوٍ فِي عَمَى الْأَهْوَاءِ

يَا رَبِّ إِنْ تَغْفِرْ فَذَاكَ رَجَائِي ... وَعَذَابُ مَنْ يَرْجُوكَ عَدْلُ قَضَاءِ

بِالْفَضْلِ يَا ذَا الْفَضْلِ وَالنَّعْمَاءِ ... عَامِلْ كَثِيرَ الذَّنْبِ وَالْأَخْطَاءِ

فَالْعَدْلُ يَا مَوْلَايَ عَيْنُ شَقَائِي ... لَوْ كُنْتُ أَرْجُو الْعَدْلَ صُنْتُ رِدَائِي

(*) شاعر مصري.

يوسف عكراس*

أهمية القيم وضوابط غرسها

لا شك أن الزهرة كي تنمو وتزدهر براعمها، علينا أن نلقي بذورها في وقتها المناسب لها، كما علينا أيضًا أن نغرسها بطريقة صحيحة، وبالتالي نقطف زهرة تشع جمالاً وجلالاً، ذات رائحة طيبة زكية. وعلى نقيض ذلك، إن ألقيتَ البذور بطريقة عشوائية وأهملت في رعايتها ومراقبتها؛ لا ريب أن هذه الزهرة ستذبل لا محال قبل أوانها. وهكذا هو الحال بالنسبة لغرس القيم داخل نفوس الآخرين. إذن ما هي القيم وأين تتجلى أهميتها؟ وما هي ضوابط غرسها بالشكل الصحيح؟

تعريف القيم وأهميتها

تعتبر كلمة "القيم" من المصطلحات الشائعة في الاستخدام، كما أنها كثيرة الجريان على ألسنة التربويين والمصلحين، وهذا يوحي بأهمية ما ينطوي تحت لواء هاته الكلمة من معان سامية ومضامين راقية. ومعنى "القيم" في اللغة "القيمة": والقيمة مفرد قِيم بكسر القاف، وهي الاستقامة والاعتدال.

أمّا اصطلاحًا، فقد تعددت التعريفات جراء الاهتمام البالغ الذي حظيت به هذه الكلمة من لدن المتخصصين، وتنوعت بتنوع الفلسفات والمنطلقات التي يبنى عليها المفهوم. وما يهمنا هنا، هو التعريف المرتبط بالشأن التربوي والديني. فقد ذكر الدكتور "جابر قميحة" في كتابه "المدخل إلى القيم الإسلامية": "إن القيم هي مجموعة من الأخلاق التي تصنع نسيج الشخصية الإسلامية، وتجعلها متكاملة وقادرة على التفاعل الحي مع المجتمع وعلى التوافق مع أعضائه، والعمل من أجل النفس والأسرة والعقيدة".

وبتعريف أيسر يفهمه العموم نقول: إن القيم هي مجموعة من الأخلاق الفاضلة التي اعتمدت على

التربية الإسلامية في توجيه السلوك البشري، للقيام بكل عمل أو قول يدلّ على الخير. بحيث تتضمن هذه القيم أهمية كبرى في حياة الفرد والمجتمع.

القيم في حياة الفرد

القيم تسهم في إنتاج أفراد يتسمون بالسلوكيات والصفات الجيّدة مثل المثابرة على العمل والتميز، والنجاح بعيداً عن الصفات السلبية وغير الجيدة.

القيم تهيئ للأفراد اختيارات معينة تحدد السلوك الصادر عنهم، وبمعنى آخر شكل الاستجابات، وبالتالي تلعب القيم دورًا هامًا في تكوين الشخصية الفردية ورسم أهم معالمها وفق معيار صحيح.

القيم تثير في نفوس الآخرين الإعجاب والمحبة التي تتهيج معها دوافع الاتباع والتنافس المحمود فيتولد لديهم حوافز قوية لأن يتمثلوا أخلاقها السامية وقيمها الراقية. القيم تعطي للفرد إمكانية أداء ما هو مطلوب منه، وتمنحه القدرة على التكيف والتوافق الإيجابيين، وتحقق الرضا عن النفس للتجاوب مع الجماعة في مبادئها وعقائدها.

القيم في حياة المجتمع

كما أن للقيم دورًا هامًا في حياة الأفراد، فلها أيضًا دور أهم في حياة الأمم والشعوب. ولا ريب أن المجتمع الإنساني، مجتمع تحكمه معايير في تعاملـه وعلاقاته مع الآخرين، بحيث تشكل هذه المعايير مجموعة من القيم الناظمة للأقوال والأفعال والمواقف والقرارات، والتي تظهر أهميتها من خلال:

- أن القيم تساعد المجتمع على مواجهة التغيرات التي تحدث فيه بتحديد الاختيارات الصحيحة والسليمة التي تسهل على الناس حياتهم.
- القيم تحفظ للمجتمع بقاءه واستمراريته وتماسكه فتحدد له الأهداف ومثله الأعلى ومبادئه الثابتة والمستمرة.
- القيم تربط أجزاء الثقافة المتناثرة ببعضها البعض حتى تبدو متناسقة، كما تحفظ للمجتمع هويته وتميزه.
- القيم تسهم في بناء مجتمع متماسك وقوي يستطيع مواجهة التهديدات الخارجية.

إن القيم هي مجموعة من الأخلاق الفاضلة التي اعتمدت على التربية الإسلامية في توجيه السلوك البشري، للقيام بكل عمل أو قول يدلّ على الخير.

- القيم تعمل على إعطاء النظم الاجتماعية أساسًا إيمانيًّا وعقليًّا يصعب زعزعته أو اقتلاعه.
- القيم تقي المجتمع من الأنانيات المفرطة والنزاعات والأهواء والشهوات الطائشة التي تضرب في عمق وحدته.

ضوابط غرس القيم

إن عملية غرس القيم تحتاج إلى تربة خصبة تنمو بها بذرة القيم الصالحة التي يتعهدها المربي لمتابعة نمو وبناء القيمة بوسائل شتى وعناية فائقة. ولكي ننجح في غرس القيم، لا بد أن نضع أمام أعيننا أولويات وضوابط يجب استحضارها وتمثلها ونحن نغرس القيم في النفوس:

١- وعي المربي:

وهنا لا بد من توافر أمرين، أولهما امتثال المربي للقيمة المراد غرسها حتى يكون قدوة حسنة للمُرَبَّى، لأن القدوة توفر الكثير من الوقت على المربين أثناء غرس القيم، وخصوصًا لدى الآباء في تربية الأبناء ومحاولة غرس السلوكيات الجيدة فيهم، فعندما يختار الطفل القدوة الجيدة فإنه يقلدها في كل شيء.

والأمر الثاني هو أن يعي جوانب القيمة، ويمتلك المهارة الكافية لغرس القيم بالوسائل المبتكرة، وهذا لا يتأتى إلا بالعلم والتعلم والقراءة بالتحديد؛ فهي تزيد من وعي المربي، وتكسبه خبرات الآخرين وتجاربهم. وبما أننا مسؤولون عمن ولينا أمرهم من أبنائنا أو تلامذتنا وجميع فلذات أكبادنا، كان لزامًا علينا أن نعي ونمتلك مهارة غرس القيم فيهم ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، وتحضيرهم للحياة.. لذلك يجب علينا أن نزيد من وعينا القيمي والتربوي كدعاة ومربين وأساتذة وآباء وأمهات.. فالشأن التربوي والقيمي علم يتعلم ومهارة تكتسب بطرق شتى، فليس هناك غرس قيم بالفطرة في

hiragate.com

خضم هذه التحولات والمستجدات والتهديدات التي ترغب زعزعت ثوابتنا.

٢- مناسبة القيمة للمرحلة العمرية:

فالإنسان بتطوره ونموه تختلف أولوياته كما يختلف البناء الجسماني له، وكلما كانت القيم المستهدف غرسها مناسبة لعمره وأولوياته كان ذلك أنجح في البناء وأيسر في الغرس. وبالتالي يجب على المربي أن يميز بين كل مرحلة عمرية وأخرى من حيث أولوية غرس القيم؛ حيث كل مرحلة عمرية لها منظومة قيم تتناسب معها، فالمرحلة ما قبلة ولوج المدرسة تعدّ في غرس القيم اللبنة الأولى والبناء الأساسي، الذي تتحدد فيه معالم الشخصية. والشخصية التي تُبنى على القيم والمعايير الجيدة، تكون في المراحل التالية سوية سهلة التعامل والتوجيه والتقويم والإرشاد. ويُفضل في هذه المرحلة غرس القيم الأساسية والمهمة التي يتوقف عليها بناء القيم الأخرى، حيث تعد هذه المرحلة مرحلة مركزية وجوهرية، ومن أهم القيم التي تحتاجها هاته المرحلة الصدق، والأمانة، والنظام، وغيرها من القيم.

ثم تأتي المرحلة الابتدائية التي تحتاج أيضًا قيم تتناسب معها، وهي القيم التي توثق علاقاتهم بالمجتمع الخارجي، وتوفر لهم الوسائل الجيدة والمهارات التي بها يتعاملون مع الإنسان والحيوان وكل ما في المجتمع، تعاملاً جيدًا. ومن أهم هاته القيم على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر، بر الوالدين، وصلة الرحم، والصداقة والتفوق والتميز.

إن عملية اكتساب القيم والتعامل معها في مراحلها العمرية المحددة لها، جديرة بأن تعطي ثمارًا متميزة، ولكن تجدر الإشارة، أن عملية الغرس تكاد تنتهي في المراحل العمرية الأولى من التربية، أما الطبيعة الإنسانية فتظل تتعلم وتكتسب حتى إلى آخر اللحظات. دليله من الواقع حين ترتبط عملية العودة إلى القيم والتحلي بها إلى موقف أو حادث بسبب توبة شخص أو هدايته، فتتحول كل سلوكياته السيئة إلى أخلاق وقيم. وبالتالي فالقيم يمكن اكتسابها في أي مرحلة عمرية، أما الغرس السهل الذي يكون له الأثر الجيد على حياة الشخص فيما بعد، فيكون في المراحل العمرية الأولى حيث من شب على شيء شاب عليه.

٣- تعدد الوسائل:

ولما بينا آنفا أن عملية غرس القيم تحتاج إلى وعي المربي بالدرجة الأولى ثم مناسبة القيمة للمرحلة العمرية، كذلك يحتاج غرس القيم إلى تعدد الوسائل أثناء التربية والغرس، فيحتاج المربي أيضًا إلى وسائل متنوعة ليخاطب ثلاثية الوعي البشري من المعارف والوجدان والسلوك، لا أن يخاطب المُرَبَّى بوسائل تنمي لديه الجانب المعرفي -مثلاً- فيتضخم ذلك الجانب عن أخويه، وبالتالي لا ينتج قناعة وجدانية أو سلوكًا عمليًّا للقيمة فتشوه أبعادها، ونجد أن الله ﷻ قد ربط بين القيم والعبادات، ونوّع في العبادات لتتنوع وسائل تلقي القيم وغرسها.

فمثلاً، الصلاة تنهى عن الفحشاء، فإذا نجح المربي في غرس المعرفة العقلية وهذا الربط التعبدي القيمي، ثم تولد لدى المُرَبَّى الاستشعار بالصلة بين العبد وربه، وأن اللسان الذي يخاطب رب العزة في الصلاة، لا بد وأن يتنزه عن الفحش في القول والسلوك، فينتج عن ذلك دافع قوي للتمسك بالقيمة، وكذلك الحال في التقوى في الصوم، والتكافل في الزكاة، وغيرها من العبادات التي راعى فيها الشارع الحكيم، الأبعاد الثلاثة للجنس البشري.

٤- البيئة:

إن الوسط المحيطي الذي يعيش فيه المُرَبَّى، هو الأهم في هاته العملية، إذ البيئة هي بمثابة التربة التي تغرس فيها بذرة القيم، بحيث نرى -والواقع أعظم الشهود- أن للبيئة تأثيرًا كبيرًا في بلورة سلوكه وبناء الشخصية، لأن المُرَبَّى سرعان ما يتطبّع بطابع تلك الأوساط التي يتردد إليها بين الفينة والأخرى، ويكتسب صفاته ومقوّماته من عقائد وسلوكيات وأعراف وثقافات وما إلى ذلك. فكلما كانت البيئة صالحة كان ذلك أفضل للنمو السليم وبناء القيمة بشكل أيسر. ويمكن حصر أهم البيئات التي تسهم في غرس القيم بشكل فعّال فيما يلي:

أ- الأسرة: حيث إن الأسرة، هي المحضن الأساسي الذي يتلقى فيها المُرَبَّى أهم الفضائل والقيم والآداب في جو من التربية الإسلامية من الأب والأم والإخوة.

hiragate.com

hiragate.com

بـ- المسجد: إن مكانة المسجد في المجتمع الإسلامي أوضح بكثير من أن يشار إليها بحديث مثل ما نعرض له، وما سأتطرق له هو من باب معرفة ولو بجزء بسيط جدًّا من أثره في غرس القيم الفاضلة، والحماية من الشهوات والإغراءات الزائفة.

وما أقصد بالمسجد هنا في هذا المقال، هو المكان المخصص للأذان وإقامة الصلوات الخمس، وإلقاء الدروس والمحاضرات والندوات والحلقات العلمية والمعرفة، وما جرى مجراها ودار في فلكها. وقد وضع المسجد باعتباره اللبنة الأولى، ونواة المجتمع الإسلامي وأهم ركائزه الثابتة على مر العصور، بحث لا يقتصر دوره على أداء الشعائر التعبدية المحضة فقط، كالصلاة والذكر والدعاء، بل يمكنه أيضًا غرس القيم في نفوس الناشئة.

جـ- المدرسة: تعتبر المدرسة مؤسسة اجتماعية أنشأها المجتمع قصد تعليم أبنائه وتربيتهم، وتزويدهم بالثقافات والتراث العلمي المعرفي. والتربية في المدرسة ليست من أجل منطلق ومنطق حر لا ضابط له، ولكن من أجل دعم نظرية الحياة للأمة، ذلك أن الأمة صاحبة الرسالة الإسلامية التي يجب أن تقوم على الصغار بالتربية والتعليم، ليكونوا ورثة صالحين ومصلحين، لهدف حياتها ولنظام مجتمعها.

وقد تطورت المدرسة الحديثة تطورًا ملحوظًا ساعدها على تأدية المهام المنوطة بها بكفاءة عالية، فهي كأداة مهمة من أدوات التربية وإحدى وسائطها، ذات وظائف محددة.

وقد لخصها عبد الرحمن النحلاوي فقال: وظائف المدرسة اليوم في توسيع آفاق الناشئ وزيادة خبراته، بنقل التراث الثقافي، وتوجيه المتعلمين، وتنسيق الجهود التربوية المختلفة، وتكملة مهمة المنزل التربوية.

ويمكن للمدرسة أن تؤدي دورها التربوي التعليمي في غرس القيم، من خلال الوظائف التي تقوم بها الجهات المسؤولة وذات الصلة المباشرة بالمتعلم (المُرَبَّى)، وهي مديرية المناهج، والإدارة التربوية، والعنصر الفعال والقلب النابض للعملية التعليمية التعلمية، ألا وهو الأستاذ.

إن معرفة أهمية القيم، ومراعاة ضوابط غرسها التي تتمثل في وعي المربي، ومراعاة المرحلة العمرية، وتنويع الوسائل والطرق، ومراعاة البيئة، مع إعطاء كل ضابط حقه ومستحقه.. سيجعلنا أمام نظام تربوي قيمي متكامل المبنى، كفيل بضمان الطريق السليم إلى مستقبل زاهر وزاخر يحفظ عقول الناشئة وقيمهم ودينهم، فتهذب الأفراد وترقى بهم، كما تجعل المجتمع وحدة مترابطة عقائديًّا ووجدانيًّا واجتماعيًّا. ■

(*) كاتب وباحث مغربي.

hiragate.com

عبد القادر جابر*

جائحة كورونا وآثارها الاقتصادية

يؤكد علماء الاقتصاد وخبراؤه، على أن التداعيات الاقتصادية لجائحة فيروس كورونا كبيرة جدًّا، فقد أصبح العالم كله يعاني أزمة اقتصادية حادة لم تمر بها البشرية منذ أكثر من مائة عام مضت؛ حيث سببت سلسلة من الهزات المالية العنيفة التي هوت بمعظم الاقتصادات العالمية، وخصوصًا في أكبر وأقوى وأحدث النظم الرأسمالية منها.

فقد تعرّى الاقتصاد المالي الوهمي عن الاقتصاد الحقيقي، واتضح الانفصال بينهما، ذلك لأن الاقتصاد العالمي الحالي مبني في غالبية معاملاته وتداولاته، على مستندات مالية وأسهم ذات قيم تداولية لا تعكس دائمًا قيمة واقعية فعلية، فقيمتها التداولية مرتبطة بكمّ الطلب عليها والعرض منها، وجراء سيل من المضاربات التي قد تحدث عن عمد أو بشكل تلقائي من المضاربين، قد تقفز القيمة التداولية للمستندات المالية والأسهم لأضعاف قيمتها الحقيقية والعكس صحيح. وهذا النوع من التعامل يرفضه النظام الاقتصادي الإسلامي، لما فيه من الهشاشة وما يلازمها من المخاطرة الجزافية والغبن والغرر على أحد المتعاقدين، والذي يعتبر أساس المشاكل المالية والمخاطر المعاصرة التي تهدد النظام المالي العالمي. وما الأزمات المالية المتعاقبة سوى انفجار لفقاعات اقتصادية تكشف زيف ما

من وهم اقتصادي ومالي.. وربما تعتبر الفترة الحالية، فرصة للعالم كله لاعتماد الاقتصاد الإسلامي كمنظومة مالية عصرية ومتكاملة، تلبي احتياجات البشرية الاقتصادية والعيشية؛ حيث تعتمد على أصول اقتصادية راسخة يحكمها مبدأ العرض والطلب وشفافية التعاملات، وتقوم على المنفعة العامة لكامل طوائف المجتمع وشرائحه، وخصوصًا الضعيفة والهشة منها.

فاستخدام الاقتصاد الإسلامي وأدواته، يعتبر حلاً ناجعًا في حل الأزمات الاقتصادية الراهنة التي تفرض نتائجها في بقاع الأرض أجمع، وفي ذات الوقت نرى أن المؤسسات الاقتصادية الإسلامية، وبالذات المصارف الإسلامية، لم ينلها إلا القليل من تأثير الأزمات بحكم ترابطها مع العالم لا بسبب نظامها المالي، وكل ذلك مردّه إلى خصائصها المحكمة والسامية التي تتصف بها؛ حيث ضمنت لها الخروج من عباءة التضخم الربوي، والنجاة من آثار المقامرات والمراهنات والمعاملات المبنية على الغرر بأقل الخسائر، حيث إنها تعتمد النظام التشاركي في المعاملات المشروعة، والتي تتصف بالثبات الاقتصادي، وتتحلى بمبادئ الأخلاق الحميدة والأخلاقيات الراقية التي لا خلاف عليها لدى كل الناس في كافة المجتمعات الإنسانية.

وليس ببعيد ما حصل في عام ٢٠٠٨، فقد سببت أزمة الرهن العقاري في أمريكا ركودًا اقتصاديًا مدمرًا وتحولت بسرعة كبيرة إلى أزمة عالمية كبرى واسعة النطاق، انخفضت فيها أسعار العقارات بشكل ملحوظ، وزادت معدلات البطالة بسرعة فائقة، فقامت المؤسسات المالية بتخفيض معدلات الفائدة بخطوات متلاحقة، وقامت الحكومة الأمريكية وغيرها من الحكومات العالمية، وعدد من المصارف الدولية بطرح الخطط الإنقاذية لتفادي الأزمة، ولم يُفلح كل ذلك بتحقيق الإنقاذ المطلوب، ما اضطر العديد من الحكومات للتدخل وضخ أموال طائلة لإنقاذ بعض الشركات والبنوك خصوصًا ذات الكثافة العالية من حيث المتعاملين والمستفيدين لتتدارك وقوع كوارث لا تحمد عقباها على الأمن والسلام المحلي والدولي.

وفي صيف عام ٢٠٠٨ أفلست شركات كبيرة، مثل

يؤكد علماء الاقتصاد وخبراؤه، على أن التداعيات الاقتصادية لجائحة فيروس كورونا كبيرة جدًّا، فقد أصبح العالم كله يعاني أزمة اقتصادية حادة لم تمر بها البشرية منذ أكثر من مائة عام مضت.

شركة "ليمان براذرز" المالية، وشركة "جنرال موتورز"، وبنك "سي آي تي جروب"، وتهاوت أسعار الأسهم لأرقام قياسية، وتراجعت البورصات العالمية، وكَثُرَ إفلاس المؤسسات في مختلف دول العالم، وطالت شظايا الأزمة البعيد والقريب في كل أنحاء المعمورة، بسبب الترابط القائم في الاقتصاد العالمي، ولم تُجْرَ بعد ذلك معالجات جذرية لأسباب الأزمة، والتي من أهم أسبابها الديون وفوائدها المرتفعة، والرهون والتقييم المبالغ فيه لقيمة بعض أسهم الشركات والبنوك، المبني في الأساس على المضاربات من دون أن يلتزم بقيمة السهم الحقيقية. وارتفعت في حينها بعض الأصوات في العديد من الدول المتقدمة الغربية، ليتبيّن أن جزءًا رئيسًا من أسباب الأزمة هي الفوائد الربوية المرتفعة، وشروط الرهن المخالفة لمبادئ الاقتصاد الإسلامي، ومنها بيع الرهن وبيع الديون وانتشار الربا الفاحش، وأن مبدأ "النقود لا تلد نقودًا" مبدأ اقتصادي مدمر.. ومن هذه الأصوات مَن أظهر ذلك في مقالة بعنوان "هل تأهلّت وول ستريت لاعتناق الشريعة الإسلامية؟".

مقترحات لما بعد الجائحة

لعله من المهم أن تستخلص الدروس والعبر من الأزمات المالية العالمية وما ينتج عنها من ركود وكساد، وأهم تلك الدروس توقف المؤسسات المالية عن التعامل بالربا أو بنظام الفائدة إقراضًا وإيداعًا. وقد تشدّد الإسلام الحنيف في حرمة التعامل بالربا تشدّدًا لم يشابهه أيّ تحريم نهى الله عنه على الإطلاق في كتابه العزيز، ويستبدل هذا النظام بنظام المرابحة على أسس الكسب والخسارة، وتشغيل رأس المال تشغيلاً استثماريًّا تنمويًّا.

جميع التحاليل الاقتصادية تجمع على أن البطالة والفقر، سينتشران بعد جائحة فيروس كورونا على نطاق

hiragate.com

واسع. وقد عالج الإسلام الحنيف ظاهرة الفقر علاجًا جذريًّا، فجعل الزكاة على أنواعها ركنًا من أركان الإسلام الخمسة. وخلال مئة عام على بدء الدعوة الإسلامية وانتشارها في رقعة جغرافية لا بأس بها؛ لم يجد رُسُلُ الخليفة عمر بن عبد العزيز الموكلون بتوزيع مال الزكاة، من يأخذ منها لا من المسلمين ولا من غير المسلمين. فقد ورد أنه كتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن وهو بالعراق أن: أخرج للناس أعطياتهم. فكتب إليه عبد الحميد: إني قد أخرجت للناس أعطياتهم وقد بقي في بيت المال مال. فكتب إليه أن: انظر كل من أدان في غير سفه ولا سرف فاقض عنه. قال: قد قضيت عنهم وبقي في بيت المال مال، فكتب إليه عمر بن عبد العزيز أن: زوج كل شاب يريد الزواج. فكتب إليه: إني قد زوجت كل من وجدت وقد بقي في بيت مال المسلمين مالٌ. فكتب إليه بعد مخرج هذا أن: انظر من كانت عليه جزية فضعف عن أرضه، فأسلفه ما يقوى به على عمل أرضه، فإنا لا نريدهم لعام ولا لعامين.

يضاف إلى ذلك، ما شجّع ﷺ أصحاب الثروات على بذل الصدقات على الفقراء والمساكين "إذا أعطيتم فأغنوا" كما كان يقول الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب. وكذلك سياسة الوقف في الإسلام التي أطلقها الإسلام وشجع عليها، شكلت بابًا واسعًا في تنمية سريعة لقطاعات خدمية أساسية، كالتعليم والصحة، والري والسقيا، وكفالة الأرامل والأيتام، وتجهيز الجيوش وتعزيز الثغور وغيرها. وقد سلكت بعض الدول الغربية طريق الوقف في عدد كبير من مؤسساتها الخدمية، إذ بلغت أوقاف عشرين جامعة أمريكية في العام ٢٠٠٧ ما يزيد على مئتي مليار دولار أمريكي، وأثمرت تقدمًا ملحوظًا في الحضور العلمي لهذه المؤسسات على صعيد العالم.

أيضًا، لا بد من التوقف عن التقييم الجزافي لأسعار الخدمات، واللهث وراء اقتصاد استهلاكي، وجعل الأولويات الاقتصادية للمنتجات التي تعود على الناس بالنفع.. ويحضرنا هنا مثال واضح لذلك التناقض الرهيب في تقييم المنتجات حين بيع تطبيق الاتصالات "واتس آب" بسعر ١٩ مليار دولار في عام ٢٠١٤ في نفس الوقت الذي قدرت فيه قيمة شركة "بيكر هيوز" للخدمات البترولية بسعر ٣٤,٦ مليار دولار فقط، مع أنها تعد ثالث أكبر شركة خدمات بترولية في العالم بعد شركتي "شلمبرجير" و"هاليبرتون".

كذلك، من المهم جدًّا، وقف الاحتكار الذي غالبًا ما ينتشر في العالم الحديث في زمن الأزمات وبعدها.. ورغم أن الإسلام يكفل الحرية للأفراد في البيع والشراء والتنافس الفطري، إلا أنه ينكر أشد الإنكار الاحتكار الذي يلجأ إليه بعض التجار في الحروب والأزمات، طمعًا في زيادة أرباحهم. وقد نهى عن ذلك النبي ﷺ في قوله: "بئس العبد المحتكر، إن أرخص اللهُ الأسعارَ حزِن، وإن أغلاها فرِح" (رواه البيهقي). وفي قول آخر: "الجالبُ مرزوق والمحتكر ملعون" (رواه ابن ماجه).

يضاف إلى ذلك، ضرورة إجراء معالجات لتداعيات الجائحة، بحيث تشمل جميع الجوانب والعوامل والأسباب المباشرة وغير المباشرة، المادية والروحية، خصوصًا وأن الأزمة في شدّتها قد ساهمت في صحوة العقول والقلوب عند العديد من المسؤولين والعلماء وعموم الناس في العالم، والتأكيد على ضعف المخلوق أمام قوة الخالق المطلقة، والتسليم مع الإنابة إلى الله.. وهذا ما دعا الرئيس الأمريكي الحالي دونالد ترامب وغيره من رؤساء الدول، إلى التوجه إلى الله في خطاباتهم الرسمية في ظاهرة نادرة وغير مسبوقة في نظم سياسية تدعي العلمانية وفصل الدين عن الدولة.

وإذا كان الناس مجمعين على أن أحوالهم وأوضاعهم الاقتصادية والمالية ما قبل كورونا ليس كما بعدها، وأن المتغيرات الآتية غير محددة المعالم بشكل واضح، والخسائر لا يمكن حصرها وإحصاؤها بعد.. فعلى جميع الصعد، يجب على الجميع في مختلف القطاعات، العلمية والتقنية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، مواكبة هذه المتغيرات العالمية، والاستفادة بما جاء به الإسلام الحنيف من خيرٍ عميم، وتكاملٍ سليم، وأُطُرٍ سديدة، ومبادئ اقتصادية وسياسات مالية، وقيم روحية قد تتمكن من إنقاذ ما يمكن إنقاذه وتعويض ما يمكن تعويضه، وجبر وإصلاح ما يمكن جبره وإصلاحه. ■

(*) كاتب وأديب سوري.

hiragate.com

د. محمد السقا عيد*

نبـــض الحيـاة

منـذ العصـور الأولى لوجود الإنسـان على الأرض، ارتبطت حياته بعضـو صغيـر لا يزيـد حجمه عن قبضة اليد؛ إنـه "القلب".. القلب الذي ترمز دقاته دائمًا إلى الحياة، وإذا توقفت هذه الدقات توقفت معها الحياة. هل حاولت يومًا أن ترغم قلبك على إيقاف نبضه؟ حتى وإن حاولت فإنـك لـن تسـتطيـع؛ لأن القلـب لا يمكـن السـيطرة علـى عمله عن طريـق الخلايا العصبيـة، وإنمـا عـن طريق خلايا تقـع في جـدار الأذين الأيمن وتقوم بتنظيم عمل القلب عن طريق توليد الإشارة المحفزة له بشكل دوري.

القلب مِضخَّة مزدوجة، مهمته الأساسية استقبال الدم من سائر الجسـد وإعادة ضخه بعد تنقيته، لكي يحمل الغذاء والوقود إلى كل خلية أو نسيج وعضوٍ وجهاز، عـن طريـق شـبكة مـن الأوعيـة الدمويـة -أوردة وشـرايين- يزيـد طولهـا علـى مائـة وخمسين كيلو مترًا. يعمل القلب منذ الشهر الثاني من حياة الجنين وحتى يأتي أَجَل الإنسان.. إنه لا يغفُلُ ولا يسهو، ولا يقعد ولا يَمَلُّ ولا يشكو.. بل يعمل دون راحةٍ ولا صيانة، فإذا سكن وتوقَّف في قفصه واستراح خلَّف وراءه جثة هامدة.

نظرة تشريحية

القلب هو العضو الرئيسي في الدورة الدموية، يقع في وسط الصدر فوق الحجاب الحاجز بين الرئتين وخلف عظمة القص (Sternum)، يقع ثلثاه إلى يسار المنتصف بينما الثلث الباقي إلى يمينه. وهو كيس عضلي مخروطي الشكل، يتكون من نصفين أيمن وأيسر يكونان معًا مضختين متلاصقتين تعملان في وقت واحد فتكمل إحداهما الأخرى في العمل.

يتكون كل نصف من القلب، من غرفتين أذين وبطين. وبين الأذين والبطين صمام يسمح بمرور الدم في اتجاه واحد من الأذين إلى البطين.

القلب بلغة الأرقام

إذا تحدثنا عن القلب بلغة الأرقام، نستطيع القول بأنه يزن ٣٠٠ جم تقريبًا في حالته الطبيعية، وقد يصل إلى ٦٠٠ جم في حالة إصابة الشرايين بالتصلب نتيجة لترسب الدهنيات.

يتراوح نبض القلب بين ٧٠-٨٠ نبضة في الدقيقة، وينبض قلب الإنسان في المتوسط ١٠٠ ألف مرة في اليوم الواحد. وهذا يعني ٣,٦ مليون نبضة سنويًا، و٢,٥ مليار نبضة في كامل الحياة (باحتساب متوسط العمر المتوقع ٧١ سنة).

وبالنسبة لقدرات القلب، فهو يضخ خمس لترات من الدماء بواقع ٧٠ ضخة أو نبضة في الدقيقة، ومجموعها يصل إلى ٧,٢٠٠ لتر. وبمقدور قلب الإنسان تزويد أدائه بشكل كبير للغاية في غضون أجزاء من الثانية؛ فبدلاً من ضخ ٥ إلى ٦ لترات في الدقيقة كالمعتاد، بوسعه -في حالات الإجهاد العالي- ضخ أكثر من ٢٠ لتر عبر شرايين الجسم وأوعيته الدموية، وهذا يساوي ٢٠٠ مليون لتر دم وثلاث مليار نبضة لعمر يصل إلى ٧٥ سنة أو خمس مليار نبضة لعمر يصل إلى ١٠٠ سنة.

يبلغ طول القلب ١٢ سم، وعرضه ٨ سم، وسمكه ٩ سم. ومما يدعو إلى الحيرة، أن المسار الذي تقطعه الدماء بعد أن يضخها القلب، تبلغ رقمًا خياليًا كما يؤكده نموذج فريد يحتفظ به في المتحف الملكي في لندن، إذ إن الدم يقطع طريقًا طوله ١٠٠,٠٠٠ كيلو متر من خلال مختلف الأوعية الدموية.

نبض الحياة

في العادة تستغرق دورة العمل في القلب جزءًا يسيرًا من الثانية، ولهذا فإن النبض يتراوح بين ٧٠-٨٠ نبضة في الدقيقة، ويزيد عن ذلك عند الإجهاد العنيف وعند الإثارة الشديدة. ومن الجدير بالذكر أنه عند كل انقباضة قوية، يدفع القلب ثلاث أوقيات من الدم في الأورطي. وهذه الكمية تعادل ١,٥٪ من مجموع الدم في الجسم، وبذلك فإن ٦٠-٧٠ دقة في الدقيقة، تكفي لمرور جميع الدم في القلب والأوعية الدموية ٦٠ مرة في الساعة. ومن الثابت طبيًا أن معدل النبض في مرحلة الطفولة أسرع منه في الشيخوخة، ويظل ثابتًا في مقتبل العمر والشباب طالما لا يوجد هناك إجهاد عضلي أو مؤثر عاطفي.

ومن الخطأ الاعتقاد السائد بأن النبض الذي يقل أو يزيد عن المعدل المذكور، يعتبر أبطأ أو أسرع من الطبيعي، هذا خطأ، وتعليله يرجع إلى أن هناك حقيقة ثابتة في الطب عندنا، تبين أن الثابت هو اختلاف القلوب باختلاف الشخص؛ فالأخ يختلف عن أخيه في عدد النبضات، وقلبك مخلوق لك ولاحتياجات جسمك، وليس مخلوقًا ليضخ لجداول الإحصاء والمعادلات.

فالقلب السليم قد يتخطى نبضه أثناء الراحة التامة ٩٠ نبضة في الدقيقة، والتمارين العنيفة قد تضاعفه، وكذلك صعود السلالم والمرتفعات.. وتعليل ذلك أنه كما أن السيارة تتطلب وقودًا أكثر عند السرعة وصعود المرتفعات، وكذلك الجسم يتطلب مزيدًا من الدم، ويلجأ القلب إلى قواه الاحتياطية فتتضاعف دقاته ليمد العضلات العاملة بكمية كبيرة من الدم. ولكن عندما ينتهي المجهود العضلي العنيف، تظل دقات القلب السريعة لمدة وجيزة، لكي تختزن الأعضاء التي استنفذت رصيدها وحاجتها من الطاقة.

ومن الجدير بالذكر في هذا المقام، أنه عندما يرتفع النبض إلى ١٦٠ نبضة، أو ٢٠٠ نبضة، أو ٢٥٠ نبضة في الدقيقة، فإن الغرف تنبسط وتنقبض بسرعة ولا تدع مجالاً لامتلائها، وقد تضعف الدقات نفسها، وإن الثلاث أوقيات قد تهبط إلى أوقيتين وقد تقل تدريجيًّا. وعليه فإن قلبًا يدق ٢٠٠ دقة في الدقيقة، قد يدفع كمية من الدم أقل من القلب الذي يدق ٧٠ مرة في الدقيقة.

في اليوم الثامن عشر من الحمل يبدأ قلب جنين الإنسان في الخفقان، ولا يتوقف إلا عندما يموت الإنسان. والجنين في هذا العمر، عبارة عن كتلة من الخلايا الصغيرة، وربما يكون القلب هو العضو الوحيد الذي لا يفلت من العمل المتواصل والاجتهاد بوتيرة واحدة حتى عند أكسل الكسالى.

من منا يخطر بباله أن هذا الجسم المتناهي الصغر مثل جنين الإنسان الذي عمره ثلاثة أسابيع، والذي لا يوجد له دم حقيقي، له قلب ينبض بمعدل انقباضة واحدة كل ثانية.

وعندما يولد الطفل يكون عدد ضربات القلب قد زاد إلى ١٤٠ نبضة في الدقيقة وهذه هي الذروة، حيث يبطؤ النبض تدريجيًّا بتقدم الطفل في العمر.

ويصبح متوسط سرعة ضربات الإنسان البالغ، ٧٦ انقباضة في الدقيقة أثناء الراحة، وتزداد إلى أكثر من الضعف عند قيام الإنسان بعمل شاق متواصل.

كلما صغر حجم المخلوق كانت نبضات قلبه أسرع؛ فإذا نظرنا إلى عالم الحيوان مثلاً، نرى أن الحوت الذي يزن جسمه ١٥٠ طنًّا، يعمل قلبه ٧ نبضات في الدقيقة فقط، والفيل الذي وزنه ٣ أطنان ينبض قلبه ٤٦ مرة في الدقيقة، أما القط الذي وزنه ١,٥ كجم فقلبه يعمل ٢٤٠ انقباضة، بينما نجد أن العصفور الطنان الذي لا يتعدى وزنه ٨ جرامات، سرعة نبضات قلبه ١٢٠٠ دقة في الدقيقة الواحدة.

مفهوم يحتاج إلى تصحيح

يعتقد معظم الناس أن عضلات القلب تعمل ليلاً ونهارًا بدون راحة، وهذه فكرة ليس صائبة تمامًا؛ فعضلة القلب تستريح أيضًا وبصفة مستمرة، ولكن لفترات قصيرة جدًّا. فانقباضة القلب تستمر لحوالي ٠,٤٩ من الثانية فقط، وعندما يكون الإنسان في حالة سكون، فإن قلبه يستريح بعد كل انقباضه لمدة ٠,٣١ من الثانية.

تبدأ دورة القلب بانقباض الأذينين، حيث يكون البطينان أثناءها في حالة راحة، ثم ينبسط الأذينان وينقبض البطينان، ويستغرق الأذينان حوالي ٠,١١-٠,١٤ من الثانية في الانقباض، وبعد كل انقباضة تستمر راحتها لمدة ٠,٦٦ من الثانية، ومعنى ذلك أن الأذنين يعملان في اليوم من ٣,٥-٤ ساعات، ويستريحان ٢٠ ساعة. أما البطينان فيستمر انقباضهما لفترة أطول تبلغ حوالي ٠,٢٧-٠,٣٥ من الثانية الواحدة، ويستريحان لمدة ٠,٤٥-٠,٥٣ من الثانية. وعلى ذلك نجد أن البطينين يعملان في اليوم ٨,٥-١٠,٥ ساعة، ويستريحان ١٣,٥-١٥,٥ ساعة.

القلب مستودع الذكريات

أثبتت دراسات القلب مؤخرًا، أن ثمة عضوًا حيويًّا بشكل هائل وفعّال في جسم الإنسان، يعمل على تواصل دائم مع مخه عبر ٤٠,٠٠٠ خلية عصبية، تم اكتشافها فيه وفي الغشاء المحيط به، والذي عُرف باسم "الصفاق" (Pericardium). كذلك ثبت أن القلب يفرز كمًّا من الهرمونات إلى تيار الدم الذي يضخه إلى مختلف أجزاء الجسم وأولها المخ. فالقلب يتحدث مع المخ، وينسق معه جميع أنشطته. فكما ينشط المخ بمراكز ذاكرته وحسه بواسطة التغذية الراجعة عبر كلٍّ من الشبكات العصبية والدموية، فكذلك القلب الذي يعمل كجهاز تخزين للمعلومات عن طريق التغذية الراجعة عبر كلٍّ من الأعصاب والدم كما أثبت ذلك الدكتور بول برسال في مؤلفه المعنون "شيفرة القلب " (Paul Pearsall: The Heart Code). وقد ثبت بالتجربة أن إحدى الأعراض الناتجة عن العمليات الجراحية بالقلب، هو فَقْد شيء من الذاكرة، ولذلك استنتج العلماء أن القلب هو مستودع الذكريات.

وبالتالي، ثبت بالملاحظات الدقيقة، أن القلب هو أكثر أجزاء الجسم تعقيدًا، وأكثرها دقة وغموضًا، وأنه يتحكم في المخ أكثر من تحكم المخ فيه، ويرسل إليه من المعلومات أضعاف ما يتلقى منه.. في علاقة عجيبة بدأت الدراسات الطبية المتقدمة في الكشف عنها، ويشبهها أطباء القلب بجهاز إرسال بين القلب والمخ يعمل بواسطة عدد من الحقول المغناطيسية التي يصدر أقواها من القلب إلى المخ فيسبق القلب المخ في ردات فعله. ■

(*) استشاري في طب وجراحة العيون / مصر.

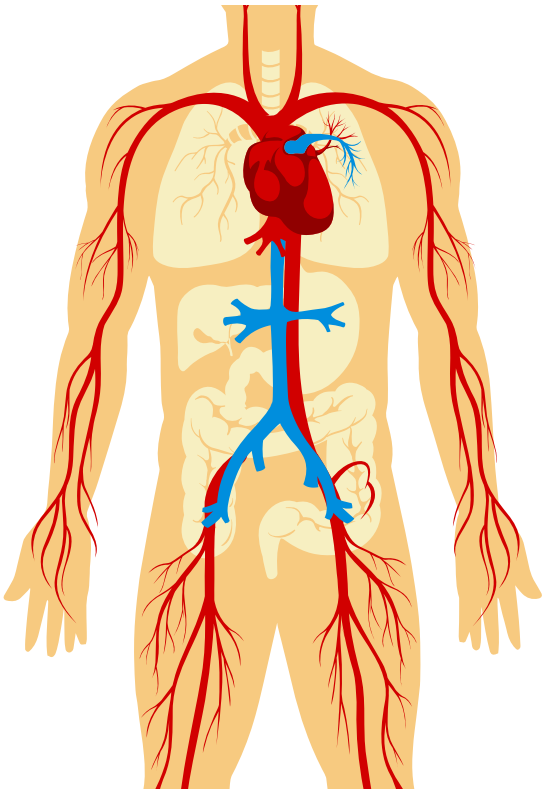

سعيد سهمي*

من أجل تلق علمي بنَّاء

إن غاية اللغة في كل زمان ومكان تتمثل في تحقيق عملية التواصل (Communication)؛ أي توصيل المعنى إلى المتلقي. وفي مجال الأدب والبحث العلمي أيضًا، لا يمكن إيجاد تواصل فعّال بين الكاتب والقارئ، إلا إذا اتسمت هذه اللغة الموظفة؛ بالوضوح والشفافية، وكان الخطاب جليًّا وخاليًا من الشوائب والمعيقات، أو المشوشات التي تعيق عملية التواصل ومن ثمة تعيق التوصيل أي توصيل فكرة الكاتب إلى المتلقي.

ومن الإشكالات المطروحة في الإنتاج الأدبي والعلمي العربي، ما يمكن أن نصطلح عليه بـ"تعالي الخطاب"، أي تعاليه على المتلقي، الذي يحضر غالبًا عندما تكون الفكرة أو النص مستعارًا من الفكر الغربي، وحين يتعلق الأمر بترجمة الأفكار والمفاهيم، حيث تأتي المعلومة أو الفكرة إلى المتلقي العربي مشوهة، وهو ما يجعل تلقيها في العالم العربي وباللغة العربية مشكلاً، لا سيما في المدرسة والجامعة.. فمن المعيقات الأساس لتقدم البحث العلمي، أن لا تكون المراجع والمصادر المعرفية قادرة على توصيل أفكار بوضوح تسهم في تطوير البحث، بل إنه من معيقات القراءة في العالم العربي -عمومًا- غياب تحقيق لذة النص وتحقيق المتعة بسبب ما ينحو إليه بعض الكتاب، من إغراق في الرمزية، واختيار للألفاظ الموحشة التي تنفِّر القارئ حتمًا من الاستمرار في القراءة.

إن اللغة كما عرفها أسلافنا من علماء اللغة، كسيبويه، وابن جني، والجاحظ، وابن خلدون.. هي أداة يعبر بها كل قوم عن أغراضهم. وبأسلوب أكثر حداثة، اللغة أداة تواصل بين الناس، ذلك التواصل الذي

من معيقات القراءة في العالم العربي غياب تحقيق لذة النص وتحقيق المتعة، بسبب ما ينحو إليه بعض الكتاب من إغراق في الرمزية، واختيار للألفاظ الموحشة التي تنفّر القارئ حتمًا من الاستمرار في القراءة.

يستحيل أن يحدث بين شخصين لا تتوافر لديهم الشروط الموضوعية، وأدناها أن يتوافر لهما معا الرصيد اللغوي الواحد والمنطق اللغوي الواحد.. فغياب هذه الشروط يحول دون تواصل مجد.

ويمكن الرجوع في هذا المقام إلى الكاتب الروسي "ميخائيل باختين" (Michail Bakhtin) الخبير في اللغة وعلم الخطاب أو لسانيات ما بعد الجملة، للتعمق في مفهوم الخطاب، ووظيفة الخطاب، وخطورة الخطاب اللغوي والأيديولوجيا، التي يمارسها الخطاب أحيانًا كما في كتبه "شعرية دوستويفسكي" و"الماركسية وفلسفة اللغة" و"الخطاب الروائي"، حيث يكشف في الأدب بشكل عام والرواية بشكل خاص، عن أشكال الخطاب المتعددة التي يسعى الفنان والروائي بشكل خاص إلى إعادة صياغتها، لنسج روايته التي هي في نهاية المطاف ليست سوى مجموعة من الخطابات، أو أنها -بتعبيره- ذات طبيعة ديالوجية؛ حيث سيتضح للقارئ أن أشكال الخطاب متنوعة ومتعددة بحسب الظرفية، أو ما أطلق عليه أشياخ اللغة -أمثال عبد القاهر الجرجاني- مراعاة المقام، أو ما أشيع كمثل سائر قولهم: "لكل مقام مقال"، وهذا معناه أن المبدع أو الناقد، عليه أن يراعي الفئة المستهدفة بخطابه (أو بكتابه)، فيخاطبها بلغتها كما كان يفعل نبينا الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم.

إن لجوء بعض الكتاب العرب إلى التعالي لغويًّا، قابعين في صروح عالية، متكلمين بلغة لا يفهمها إلا قائلها، نافين بذلك المتلقي -بما في ذلك القارئ المتخصص- ما يؤدي حتمًا إلى عدم الفهم، ومن ثمة إلى تشويه صورة النص، وبناء عليه إلى تشويه المعرفة، وإلى المساهمة في ضمورها.

هذا ما يلاحظه القارئ وهو يقرأ لبعض علماء اللغة العرب -مثلاً- أو المتخصّصين في النقد الأدبي، أو في العلوم الإنسانية.. من صعوبة توصيل، لا سيما إذا كانت الأفكار منقولة عن الثقافة الغربية -خاصة عن اللغة الفرنسية أو الإنجليزية- أو الكتب المترجمة التي تؤدي إلى مشكلات قريبة من ذلك. فمن خلال الترجمات التي أنجزها غير المتخصصين، نجد هذا المعنى الذي يطلق عليه علماء الترجمة بـ"التطفل على الترجمة" والذي يجعل تلقي النص يتم بلغة غريبة وبأسلوب مربك غير مفهوم، وهو ما يجعل قراءة النص في لغته الأصل- رغم صعوبتها بالنسبة للباحث- أقرب وأيسر من النص المترجم والمشوه دلاليًّا.

يمكننا أن نستدل على هذا الأمر بموقفين، موقف القارئ من ترجمات شكسبير الذي ترجمه أكثر من كاتب عربي، لكن جميع القراء العرب تقريبًا يحبون ترجمة جبرا إبراهيم جبرا؛ والسبب البسيط أن جبرا كان شاعرًا، والشاعر يسهل عليه طبعًا ترجمة الشعر وإن كان الشعر في الأصل -مثل الموسيقى- يصعب ترجمته أو يستحيل ترجمته، إنما نترجم المعاني لا النص الأصلي. فجبرا إبراهيم لم ينقل النص الإنجليزي الشكسبيري بمفاهيم وبخطاب لغوي سطحي، وإنما عمل على تقديمه إلى القارئ العربي بمفاهيم قريبة من السياق الثقافي العربي، وهو ما منح ترجمته لنصوص شكسبير بُعدًا جماليًّا، كما لو أنه قدم لنا مسرحيات جديدة من وحي خياله هو.

والموقف الثاني يظهر لنا، من خلال الرجوع إلى بعض الكتب الغربية في التخصصات العربية التي ألفها المستشرقون المهتمون بالأدب العربي، فالرجوع مثلاً إلى كتاب "ألن روجر" (Alan Roger) "الرواية العربية: مقدمة تاريخية ونقدية"، يغني القارئ العربي عن مئات المراجع العربية عن نشأة الرواية العربية وتطورها؛ ولعل السبب الأساس وراء هذه القابلية لقراءة كتابه وفهم أفكاره التي تكاد تعطينا فكرة عن نشأة الرواية العربية وتطورها وعن المراحل التي مرت بها منذ المحاولات الأولى إلى مرحلة الاكتمال ومرحلة الحداثة، هو اعتماد الكتاب على لغة علمية مباشرة خالية من الذاتية، ومن التنميق واللف والدوران، ومن الانطباعية في الكتابة،

hiragate.com

ثم من تلك المفاهيم التي تحول السهل إلى مركب، والبسيط إلى معقد.. فرغم أنه كتب بالفرنسية، إلا أنه يبدو أيسر لفهم الأدب العربي، وقد زادته أناقة ووضوحًا، ترجمتُه الأنيقة من طرف الكاتبة حصة إبراهيم المنيف شقيقة الراحل عبد الرحمن منيف.

في هذا السياق يبقى من الضروري -بالنسبة لكتابنا العرب- مراعاة السياق الثقافي للقارئ العربي، واعتماد لغة مرنة وبسيطة تثير شهيته، ويمكن أن نضرب مثلاً على ذلك، بالقرآن الكريم الذي برغم عظمة أفكاره ومعانيه ولغته المعجزة، إلا أنه يفهمه القاصي والداني.. وكذلك خطاب الرسول ﷺ، وخُطب الإمام علي ﷺ في "نهج البلاغة"، ومن تبعه من جهابذة اللغة، أمثال الجاحظ ومصطفى لطفي المنفلوطي.. أما اتباع أسلوب المعري في "رسالة الغفران"، وأبي تمام في شعره، والمتنبي في مغاوير شعره.. فهو يفيد القليل ويقصي الكثير، وذلك -في اعتقادي- من الأسباب الأساسية لعزوف الناس عن القراءة؛ فحتى التلاميذ والطلبة أعرضوا عن الكتاب، لأن أغلب الكتب العربية لا تثير نهم القارئ، ولا تحقق لذة النص التي تحدث عنها رولان بارت، بل إن بعض الكتب لا تكاد تقرأ بعض أسطرها حتى تحس بطنين وصداع في الرأس.

وأرى لكتابنا حجتهم الدامغة، ذلك أن نقل الثقافة الغربية وإعادة بناء أفكار الغرب في قوالب معرَّبة، يكلف الكثير من الجهد، وأدناه إيجاد المصطلحات المناسبة في عصر يعيش ثورة معرفية جعلت العرب في مؤخرة القافلة، مما يجعلهم يترجمون النص ترجمة حرفية تزيد الأمر تعقيدًا. ولعل هذا ما يدعو إلى مراجعة النظام المعرفي واللغوي أيضًا للعقل العربي، وأنى لنا ذلك في غياب خبراء في علوم اللغة والبرمجيات. لكن يجب أن لا نفقد الأمل، بل لا بد من تضافر الجهود لتطويع اللغة العربية، وإن عجزنا عن ذلك فعلينا اللجوء إلى آخر الدواء، وذلك بإنجاز أعمال تتناول شرح تلك الألغاز والرموز التي تحملها بعض الكتب، والتي لا يعرفها إلا أصحابها. ■

(*) مفتش تربوي للتعليم الثانوي / المغرب.

د. بركات محمد مراد*

اليد البشرية

من المعروف لمن يقومون بتصنيع الأجهزة والمعدات، أن أول خطوات التصنيع هو تحديد الوظيفة أو الوظائف التي سيقوم بها الجهاز، ومن ثم القيام بوضع التصميم الأمثل الذي سيصنع على أساسه هذا الجهاز، وذلك بعد تحديد الشروط والقيود على مواصفاته، كالحجم والكلفة، وكمية الطاقة المستهلكة، والعمر التشغيلي، والشكل الخارجي وغيرها.

وسيتبين لنا وبأقل تأمل ممكن لليد البشرية، مدى الإعجاز البالغ في ذلك الخلق، والذي يحتاج إلى مجلدات لوصفه وشرحه وتفسيره. إن الذي يدرس تركيب عظامها (اليد) بأشكالها وأبعادها وموادها، يجد إبداعًا في التصميم لا يمكن لأحد أن يعدّل عليه، وكذلك الأمر لمن يدرس مفاصلها، وطرق ربطها، وعضلاتها وطرق تثبيتها، وجلدها وما فيه من مستقبلات حسية، وأعصابها وشرايينها وأوردتها، وطرق تمديدها.

وأما الذين يقومون بدراسة الطرق التي تقوم بها مراكز الحركة في الدماغ للتحكم بهذه اليد، فإنهم يظلون عاجزين عن فهم أسرار البرامج المخزنة فيها، والمسؤولة عن كل حركة

من حركات اليد. ولا زال العلماء بمختلف تخصصاتهم الطبية والهندسية، يعملون جاهدين على كشف أسرار تركيب اليد، لا لكي يشكروا من قام بتصميمها، بل لكي يقوموا بتصنيع أيدٍ بنفس القدرات، لمعدات مصانعهم وروبوتاتهم.

لقد تم تصميم الأجزاء المختلفة لليد، بحيث يمكنها القيام بوظائف عديدة ومعقدة وغاية في التباين، بحيث يكاد يكون من المستحيل الجمع بينها في جهاز واحد. إن أول وأهم قدرات اليد، هو إمكانية وصولها إلى أي موضع على سطح جسم الإنسان، كالوصول إلى الفم لتمكينه من أكل الطعام وشرب شرابه، والوصول إلى بقية الأعضاء لحكها أو لغسلها أو لعلاجها.

فالإنسان هو الوحيد الذي كرّمه الخالق ليلتقط طعامه بفمه مباشرة، وكرّمه ليتمكن من غسل كامل جسمه بالماء؛ ليخلّصه من الأوساخ التي تخرج منها أو تقع عليه من الخارج. واليد قادرة -كذلك- على سحب ودفع الأجسام، وكذلك حملها على ظهره أو كتفه أو رأسه.

ولقد زود الخالق ﷻ جلد رؤوس الأصابع بمستقبلات حسية من مختلف الأنواع، وبكثافة عالية تمكّن الإنسان من معرفة مختلف خصائص الأشياء التي تمسك بها، من حيث الصلابة والليونة والخشونة والنعومة واليبوسة والرطوبة والسخونة والبرودة والثقل والخفة. ومن الجدير بالذكر أن اليد التي تمتلك خمسة أصابع، يتميز فيها الإبهام بتفرد خاص لا تشابه معه بقية المخلوقات، بما فيها القردة البارعة بالقفز والشد والإمساك، مع هذا تبقى "راحة" يد الإنسان لا تقارن بقبضة القرد.

تمتلك يد الإنسان خمسة أصابع، وكل أصبع مكون من ثلاث سلاميات إلا الإبهام، فهو مكون من سلاميتين فقط وهنا السر، فعلى السلامي الثانية يرتكز وتر قابض طويل (Flexor Polliciso Longus)، يطوي السلامي الثانية فيعطي رشاقة ودقة خاصة يتفوق بها الإنسان، وهو ما لا تمتلكه بقية المخلوقات بما فيها القرود.

وبواسطة دقة بناء اليد انطلقت تؤدي مهام لا نهاية لها، ولعب الإبهام الدور المحوري في ذلك، فمفصله

زُوّد جلد رؤوس الأصابع بمستقبلات حسية من مختلف الأنواع، وبكثافة عالية تمكّن الإنسان من معرفة مختلف خصائص الأشياء التي تمسك بها، من حيث الصلابة والليونة والخشونة والنعومة واليبوسة والرطوبة والسخونة والبرودة والثقل والخفة.

الكروي يعطيه مرونة فائقة، وسلاميتاه الاثنتان مزودتان بما لا يقل عن خمسة أوتار تمنحه الحركة في كل الاتجاهات برشاقة، في البسط والقبض، والتبعيد والتقريب، والدوران والإمساك والمقابلة.. يمكن أن نفهمها إذا نقلناها إلى قانون الحركة، فالضارب البارع على الكمبيوتر، يضرب إبهامه في المتوسط ما لا يقل عن عشرة آلاف ضربة في اليوم الواحد.

وهكذا، بواسطة الإبهام استطعنا أن نعزف على البيانو، ونداعب أوتار الجيتار، ونخيط الشرايين الممزقة، ونصب الأفكار المبدعة في الكتابة، وننفخ في الناي، ونلعب بالشطرنج.. ومن دون اليد لم يكن لنا قدرة صقل العدسات التي فتحت أمامنا العوالم، فيها عولج حوالي خُمس سكان الكرة الأرضية من العيوب البصرية، وبواسطتها أطللنا على القمر، وانكشفت أمامنا الميكروبات المجهرية، واخترقنا أجواز الفضاء فرأينا المجرات السابحة في الملكوت.

قال "إسحق نيوتن" في يوم: "هذا الإبهام العجيب هو الذي فتح لنا هذا العالم العجيب، فزاد معرفتنا بوجود الله". إن هذه الأداة المذهلة (اليد) تتضافر لإنجاز العمل فيها مجموعة من العظام والأوتار والعضلات والأعصاب والشرايين، والأوردة والعروق اللمفاوية، في سيمفونية تعزف أعذب الألحان وأرقاها، في حركة ٢٧ عظمًا، ترقص وتهتز على حواف ٢٨ مفصلاً، يمطها ويرخيها، يبسطها ويوترها ٣٣ عضلة، وحذاء رسغ اليد تجلس سبع عظام صغيرة الحجم عظيمة الأهمية تأخذ أسماء شاعرية وهندسية، مثل عظم الزورق والقمر وشبه المنحرف والمربع وعظم حبة البزلاء.

hiragate.com

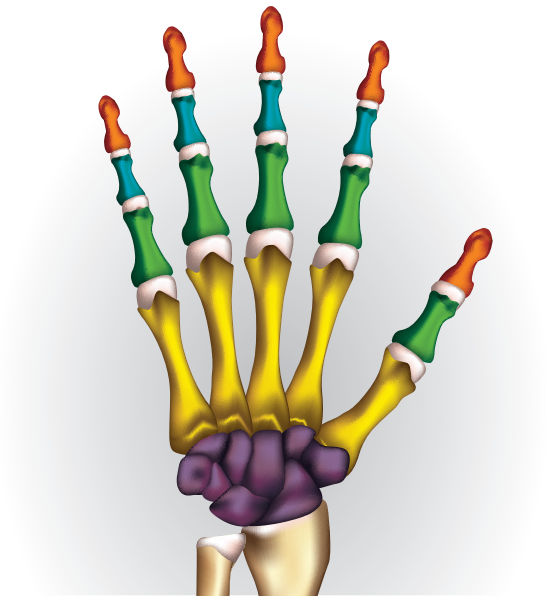

يقول الدكتور خالص جلبي في مقاله عن "معجزة اليد": إن كسرًا في العظم الزورقي يكلف صاحبه جبيرة جبسية لمدة ثلاثة أشهر، واليد في وضع القبضة تذكيرًا لصاحبه في الإمساك والمحافظة على صحة هذا العظم الذي لا يتجاوز جرمه أنملة الأصبع، وبين هذه الأوتار والعظام تمر شبكة سقي وتروية من أبدع ما خلق الله، تصبان من نهرين في حافتي الرسغ، في شلالين متعانقين متضافرين، وأما منظّم هذه الحفلة فهي شبكة عصبية مُحكمة، متدفقة من ثلاث كابلات عصبية (أعصاب المتوسط والزندي والكعبري)، تستقبل الحس وتوحي بالحركة، مربوطة بقوسين من التوترات العصبية، الأول إرادي وهو القادم كأوامر لا تُرد من القيادة العليا المرتبطة بالإرادة والوعي، والثاني يعمل بشكل لا مركزي وهو القوس المنعكس الشرطي (Condition Reflex) فلا يلجأ البدن إلى كل حركة في استشارة المركز، بل يتصرف بما يناسب ويرسل خبرًا إلى الحكومة المركزية، بما تصرف به للإحاطة، كما في لمس القطعة الساخنة، فإن اليد تنسحب فورًا دون تفكير. وهكذا فالبدن يعمل كأحسن دولة في العالم بين النظام المركزي واللامركزي، وعلينا أن نتعلم الحكمة البالغة من البيولوجيا".

ويتابع الدكتور خالص جلبي: "تزودنا نهايات الأصابع بمجسات حية مختلفة، منها المختص بالحر والبرد، فيتمطط الجلد ويتوسع مع تغيرات درجات الحرارة (جسيمات روميني وتومسا)، وأخرى في معرفة الاهتزازات (جسيمات باسيني)، وثالثة للألم بانضغاط هذه النهايات ونقل حس الألم (جسيمات لانغرهانس)، ورابعة لمعرفة الحس العميق (جسيمات واغنر)".

إن الحس العميق مهم في رشاقة الحركات وتوازنها المرتبطة بشكل رئيس ومعقد مع الدماغ، ولا يعرف نعمة التوازن إلا من ذاق مرارة الدوران وفقدان التوازن في يوم ما. إن أجهزة التوازن تعمل حتى لو كنا نائمين، وقد يستيقظ المرء يومًا، ليس على زقزقة العصافير، بل على دوار مجنون، عندها يدرك مدى دقة عمل هذه الأجهزة الحساسة المغروسة في دماغ كل منا.

إن أهمية الشبكة العصبية تأتي من وظيفتها وليس من حجمها، ولذا فإن المفاتيح العصبية في الخارطة الدماغية، تعطي المكان الرحب للعضو ذي الوظيفة الحيوية، مثل الفم واليد، وتنكمش أمام سطوح كبيرة فتضن عليها بالمكان وتبخل.. وهكذا فالخارطة العصبية ومكان مفاتيحها لليد، هي أكبر من البطن والجذع معًا.

دقة ورقة وحساسية اليد

في عام ١٩٩٣ بدأ الجراح الألماني "فولفجانج داوم" (Wolfgang Daum) في التفكير بتجاوز مشكلة تعاني منها جراحة المناظير الجديدة المستعملة في جراحة البطن الداخلية، فالجراح في العادة يبقر البطن بفتحات صغيرة، بعد أن يكون البطن قد نُفخ مثل الطبل العظيم، ويدخل من هذه الثقوب أعمدة ممددة في داخلها ومن نهايتها تقفز الأدوات الجراحية من المقص والباتر، والكاوي الحارق والقاطع، والشفاط الماص للمفرزات المتدفقة.. وهذه الأدوات مع كل نفعها وأهميتها فهي لا تعادل يد الجراح السابقة، التي كانت تقتحم هدوء وقدسية البطن، فتجس وتمس كل شيء منه. وما فكّر فيه الجراح الألماني وقام بتطويره، كان في إدخال عمود الثقب ذي قطر عشر ميلليمترات، مسلحًا في نهايته بما يشبه اليد بثلاثة أصابع، فيها قدرة مس وجس أعضاء البطن الداخلية، وأخذ يعكف على تطوير هذه اليد الصغيرة (Minihand) لتعمل بشكل إلكتروني.

hiragate.com

ولكن الدكتور "فولفجانج" يعترف بعبقرية اليد البشرية، وأنها شيء لا يُضاهى، وأن كل عمله لا يزيد على محاولة متواضعة لتقليد عمل اليد.. إن الدراسة التي قام بها الألماني "زورجاتس" (Sorgatz) في المعهد النفسي العالي للتقنية، أفضت إلى أن الكثير من الأجهزة الحديثة التي نستخدمها، لا تلائم اليدين الإنسانيتين الرائعتين.

بصمة الأصابع المذهلة

يعود اعتماد البصمات كشاهد يقيني على مرتكبي الجرائم إلى نهاية القرن التاسع عشر، ففي عام ١٧٨٨ أعلن الألماني "ج. س. ماير" أن ترتيب الخطوط البارزة في الكفين والقدمين، لا يمكن أن يتطابقا عند شخصين على الإطلاق، وأن هذه البروزات تبقى ثابتة مدى الحياة. وأجريت كثير من التجارب لإثبات صحة هذا، مما دفع العالم البريطاني "غالتون" إلى دراسة هذه الظاهرة، ليضع كتابه الخالد "بصمات الأصابع" الذي يعتبر مرجعًا في هذا العلم، وجعل الحكومة الأرجنتينية بعد ذلك أن تكون الأولى التي تتبنى البصمات كأثر دامغ لهوية الإنسان في عام ١٨٩١، وتم التأكد أن احتمال أن تتطابق ١٢ ميزة من بصمة على أخرى هو احتمال واحد من ٦٤ مليارًا.

النطق باليد

وتبقى معجزة اليد المحيرة في قصة الشهيرة "هيلين كيللر" عن كيفية نطقها وهي المصابة بالخرس والعمى والصمم، وقد تعلمت النطق بواسطة سيدة صبورة رافقتها لمدة خمسين عامًا؛ كانت فيها كيللر تضع أصابعها على حنجرة "أنا سوليفان" وفمها وشفتها ولسانها عندما تنطق فتقلدها، وبذلك نطقت "كيللر" وبزت الفصحاء الناطقين.. وعندما صفق لها الجمهور في الشرق الأوسط أثناء زيارتها له، شعرت بموجة التصفيق تخترق جسمها من أسفل قدمها بالاهتزاز. فقد تعلمت "كيللر" الكلام عن طريق حس الاهتزاز، التي تحمل اليدين من جسيماتها العدد الوفير. وقد ترقت "كيللر" في مدارج المعرفة، وعاشت حياة طويلة حافلة بالإنتاج الأدبي والثقافي والعلمي، واستمرت ثماني وثمانين سنة تكتب العديد من الكتب، وتلقي المحاضرات في معظم أرجاء المعمورة تتحدى البلغاء.

الفن لسان اليد

إذا كان التراث الفني الإسلامي قد اندفع إلى الوجود عن طريق "العقل" و"الوجدان"، فقد سبقتهما في ذلك "اليد" التي أبدع الله تكوينها وصاغ شكلها، وأودع أطراف أصابعها سرَّ الوجود وحقيقة الحياة ومستقبل الإنسان. وهذه اليد كالقلب والعقل، ذكرها الله في محكم آياته في مائة وعشرين آية جاءت متفرقة في العديد من السور القرآنية. وتأخذ حقيقة "اليد" كما خلقها الله فيما تأخذ لتكون صانعةً لاستمرار الإنسان ودوامه، ومكوّنةً لحضارته وممهدة لوجوده، ومثبتةً لحياته على هذه الأرض، كأرقى المخلوقات، وهي وحدها لا العقل والوجدان التي عبرت عن حقيقته الأولى، حيث استطاع إشعال النار واستعمال الأدوات المستمدة من الأحجار والعظام وفروع الأشجار. وفي عصور لاحقة حيث عملت يده في أعمال فنية، كصناعة الفخار والرسم على جدران الكهوف.. هذه قصة "اليد".

و"الخط" لسان اليد، فهي التي كتبت وأبدعت وشكلت الفنون. ولذلك فلا غرابة أن يصبح "الخط العربي" وبخاصة حين يأخذ مادته من القرآن الكريم، هو الفن السائد في المجتمعات الإسلامية خلال كثير من العصور. وقد استطاع الخط العربي، مثل الأرابيسك أن ينقل البيئة الأساسية للفهم المنطقي -أعني الرموز الفكرية الأبجدية- إلى مادة فنية تصويرية، إلى بيئة فنية يصبح الوعي الجمالي فيها أصليًا لا ثانويًا، قائمًا بذاته لا بغيره، كل ذلك بفضل هذه اليد العجيبة. ■

(*) كاتب وباحث وأكاديمي / مصر.

المراجع

(١) انظر: الإسلام والفنون، الدكتور بركات محمد مراد، المتحف الوطني بالشارقة، الإمارات عام ٢٠٠٧.

(٢) معجزة اليد الإنسانية، الدكتور خالص جلبي، العربي، العدد:٤٦٢ (مايو ١٩٩٧).

hiragate.com

د. إسماعيل عبد الكافي*

البيئة النظيفة
حق للبشر والكائنات

لقد أحدث التقدم التكنولوجي المستمر تغييرات كثيرة في عناصر البيئة، نتج عنه مشاكل بيئية في العالم المتقدم والنامي على حد سواء، مثل تدهور مصادر المياه، والإخلال بالتنوع البيولوجي، والإخلال بالمناخ، وانتشرت وزادت نتيجة لذلك؛ الأمراض الناجمة عن التلوث البيئي، وغيرها من المشكلات البيئية التي لها علاقة بنوعية الحياة السائدة التي يعيشها الإنسان المعاصر. والبيئة لها علاقة بشتى أنواع

الكائنات والتربة والغلاف الجوي والمياه.. أيْ أن البيئة هي المجال الحيوي الذي يعيش فيه الإنسان ويحيا ويتفاعل معه.

والعلاقة وطيدة بين الإنسان والبيئة. ومن هنا كان الاهتمام الإسلامي بالعناية بالبيئة، لكون الإسلام دينًا شاملاً متكاملاً؛ فلقد اهتم بتهيئة البيئة ونقائها وتنقيتها، واهتم بكافة الموضوعات والمحاور البيئية، تأكيدًا لحق البشر في بيئة نظيفة خالية من التلوث، ومنها خلافة الإنسان في الأرض، وتسخير الأرض وتمهيدها، وتسخير البحار والأنهار، وتسخير الأنعام وغيرها من المخلوقات، والعلاقة الخاصة بين الإنسان والأنعام، وتسخير الرياح والحفاظ على الماء كعصب للحياة، وحفظ النوع والسلالة، وصحة البيئة، وغيرها من الموضوعات.

والبيئة في المفهوم الإسلامي، تعني جملة الموارد التي خلقها الله لينتفع بها الإنسان من أرض وسماء وهواء، وأنهار وبحار وأشجار، وبالجملة فهي شاملة للنعم الظاهرة والباطنة. وانطلاقًا من هذا المنظور، فإن مفهوم البيئة في الإسلام يتجاوز الأبعاد الزمانية والمكانية والإنسانية، فهو شامل لكل الموارد الكونية التي تنتظم في إطار العلاقة التي حددتها الشريعة الإسلامية لتنظيم أصول التعامل الإنساني مع المكونات البيئية.

إذن، ليس ثمة شك أن الرسالة الإسلامية الخالدة -من منطلق كونها خاتمة الرسالات السماوية إلى البشرية كافة- اهتمت بالبيئة اهتمامًا كبيرًا، من منطلق أنها ميراث الأجيال المتلاحقة، حيث أودع الله فيها كل مقومات الحياة للإنسان المستخلف فيها.. كما أرسى الإسلام الأسس والقواعد والمبادئ التي تضبط وتقنن علاقة الإنسان ببيئته، لتتحقق من خلالها العلاقة السوية والمتوازنة التي تصون البيئة من ناحية، وتساعدها على أداء دورها المحدد -من قبل الخالق العليم- في إعالة الحياة من ناحية أخرى.

لقد أضحى تفاقم المشكلات البيئية في العالم أجمع، وما ترتب عليها من مخاطر، تهدد كل الكائنات على السواء، أصبح من الأمور التي تستوجب من

أرسى الإسلام الأسس والقواعد والمبادئ التي تضبط وتقنن علاقة الإنسان ببيئته، لتتحقق من خلالها العلاقة السوية والمتوازنة التي تصون البيئة من ناحية، وتساعدها على أداء دورها المحدد في إعالة الحياة من ناحية أخرى.

الجميع المشاركة الفاعلة في مواجهة تلك المشكلات البيئية، سواء أكانت مشكلات بيئية على المستوى المادي؛ مثل تلوث الهواء، وتلوث الماء، والتلوث الإشعاعي، والتلوث الضوضائي، وتلوث التربة، وتلوث الغذاء.. أم مشكلات معنوية مثل التلوث الخلقي، وتلوث الثقافي، وتلوث السياسي، وتلوث الاجتماعي.. ومع تسليمنا بأن النمط الثاني (التلوث المعنوي) يعتبر الأساس بل والأخطر على البيئة من كل الأنواع الأخرى، بل ويستوجب اهتمامًا خاصًّا من كل الجهات المعنية على مستوى الحكومات، أو مستوى الهيئات الرسمية وغير الرسمية.

حقوق البشر البيئية

لقد نزل القرآن في عصر انتشار الجهل وشيوع الخرافة، والكهانة، والسحر، والتنجيم في العالم كله، وكان للعرب النصيب الأوفى من هذه الجاهلية والأمية.. وعندما دخل الإنسان في عصر الاكتشافات العلمية، وامتلك أدق أجهزة البحث العلمي، وتمكن من حشد جيوش من الباحثين في شتى المجالات، يبحثون عن الأسرار المحجوبة في آفاق الأرض والسماء، وفي مجالات النفس البشرية، يجمعون المقدمات ويرصدون النتائج في رحلة طويلة عبر القرون، ولما أخذت الصورة في الاكتمال والحقيقة في التجلي، وقعت المفاجأة الكبرى بتجلي أنوار الوحي الإلهي، الذي نزل على محمد رسول الله ﷺ قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام بذكر تلك الحقيقة في آية من القرآن أو بعض آية، أو في حديث لرسول الله ﷺ أو بعض حديث؛ بدقة علمية وبيئية معجزة، وعبارات مشرقة

hiragate.com

وعلمية وبلاغية في الوقت نفسه، وأكد على حقوق البشر والكائنات الحية في البيئة النظيفة، وبهذا أنبأنا القرآن، حيث قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ثُم كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ۞ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾(فصلت:٥٢-٥٣). لنتدبر معاني هذا النص القرآني العظيم: فما ظهر من نواحي الفلك وأطراف الأرض وآفاق السماء (نواحيها)، وآيات الله في آفاق الأرض والسماء تحمل معاني ثلاثة:

المعنى الأول: المخلوقات التي خلقها الله في شتى آفاق الأرض والسماء، مثل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾(الشورى:٢٩).

المعنى الثاني: آيات القرآن التي تخبر وتصف أنواع المخلوقات، وهي آيات كثيرة.

المعنى الثالث: البينات والمعجزات التي يظهرها الله تصديقًا لرسوله الأكرم في شتى آفاق الأرض والسماء برؤية مصداقها من حقائق الخلق حينًا بعد حين، قال الشوكاني عند تفسير الآية: سنريهم صدق دلالات صدق القرآن، وعلامة كونه من عند الله في الآفاق -أي في النواحي- وفي أنفسهم.. وقال ابن كثير: أي سنظهر لهم دلالاتنا وحججنا على كون القرآن حقًّا منزّلاً من عند الله على رسول الله ﷺ بدلائل خارجية في الآفاق.. وقال الزمخشري: ومعناه أن هذا الموعود من إظهار آيات الله في الآفاق وفي أنفسهم سيرونه ويشاهدونه، فيتبينون عند ذلك أن القرآن تنزيل عالم الغيب، الذي هو على كل شيء شهيد، أي مطلع ومهيمن يستوي عنده غيبه وشهادته، فيكفيهم ذلك دليلاً على أنه حق وأنه من عنده[1].

وبهذا قال كثير من المفسرين عند تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾(فصلت:٥٢)، وقال أبو العباس بن تيمية: وأما الطريق العياني فهو أن يرى العباد من الآيات الآفاقية والنفسية، ما يبين لهم أن الوحي الذي بلغته الرسل عن الله حق، كما قال تعالى في هذه الآية. وقال عطاء وابن زيد أيضًا: في "الآفاق" يعني أقطار السموات والأرض من الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار، والرياح والأمطار، والرعد والبرق والصواعق والنبات والأشجار والجبال والبحار وغيرها.. وكلها آيات بيئية. فهذه آيات الله في كتابه تتحدث عن آياته في مخلوقاته، وتتجلى بمعجزة علمية بينة تسطع في عصر الكشوف العلمية في آفاق الكون.

وإذا كان القرآن الكريم والسنة النبوية قد بينت بوضوح، الحقوق البيئية للإنسان والحيوان والطير والنبات، وتصدت لأي إفساد أو تلوث للبيئة الطبيعية الخلابة التي خلقها لنا ربنا سبحانه، فإن الهمّ البيئي لم يعد أمرًا داخليًّا يخص دولة بعينها، ولكنه أصبح أمرًا له بعد عالمي؛ فالبيئة لا تعرف حدودًا سياسية، ولقد أصبح لزامًا على المجتمع الدولي، أن يتعامل مع قضايا البيئة خارج إطار حدود الدول والأطر السياسية[2].. ولهذا، كانت البيئة ومكافحة الأوبئة، ومكافحة المخدرات، وحقوق الإنسان، من ضمن مميزات عصر العولمة التي تتكاتف فيها جميع الدول لمعالجتها، لأنها أصبحت قضايا ذات طابع عالمي تتطلب مواجهتها التكاتف العالمي.. ومن هنا تظهر الآية الكريمة: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾(الروم:٤١)؛ ففساد البيئة لم يظهر إلا بأيدي الناس، ولن ينتهي إلا بالرجوع الإنساني إلى الحق وعدم الفساد، أي بالتكاتف العالمي الذي يتطلبه عصر العولمة. ■

(*) رئيس تحرير مجلة مجلتنا، ووكيل وزارة بالهيئة العامة للاستعلامات وزارة الإعلام / مصر.

الهوامش

(١) العلم كما أعرفه (وقل رب زدني علما)، أبو الوفا أحمد عبد الآخر، القاهرة، مجلة المسلم، مجلة العشيرة المحمدية، العدد: الثالث، السنة: الأربعون (مارس-إبريل ١٩٩٦م)، ص:٢٥-٢٧.

(٢) البيئة وقضايا التنمية والتصنيع، أسامة الخولي، تقديم مصطفى طلبة، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، رقم:٢٨٥، سبتمبر ٢٠٠٢، ص:٢٢-٢٣.

hiragate.com

تربية

د. سخاوت مامادوف*

اِكتشف موهبة طفلك

خُلق الإنسان بمواهب وقدرات مختلفة لتحقيق التوازن الاجتماعي، إذ إن إنجاز المهام في الحياة الاجتماعية كما ينبغي، مرهون إلى حد كبير بتنظيم وتوزيع هذه الوظائف، بما يتناسب مع قدرات الأفراد وملكاتهم. إن اضطلاع الفرد ببعض الواجبات، مستثمرًا قدراته ومواهبه في خدمة الإنسانية "حركة إيجابية هادفة"، لا يتأتى للأفراد أو المجتمعات البقاء على قيد الحياة إلا في إطارها. وإن الكشف عن قدرات الإنسان وملكاته وتقييمهما بشكل مناسب، يحمل أهمية كبيرة في مراعاة الحكمة المذكورة أعلاه.

إن تشكيل نظام تربوي وتعليمي جيد، له أهمية كبيرة في نهضة المجتمع. فلا شك أن أي بلد يهدف إلى الوصول إلى أعلى المراتب

في جميع التخصصات من العلم إلى الإدارة، ومن الفن إلى التربية، يتشكل أساسه على وسط تعليمي ممزوج بشكل سليم بالعلم والحكمة والموهبة والجدارة وسائر الصفات. إن الأفراد الموهوبين في عالم اليوم المبني على المعرفة والمنافسة، هم كنوز لا تقدر بثمن، وهم مَن سيقدم إسهامات هامة في مجال العلوم والتكنولوجيا، أو في قطاعي الفنون والخدمات. وإن من المهام الحقيقية المنوطة بالمجتمع، تنشئة عقول شابة جيدة تتولى دور الريادة في الغد، بتعليم يؤهل لذلك. من هذا الجانب يكون من أهم غايات نظامنا التربوي والتعليمي، هو تحديد مهارات أبنائنا، وتوجيه إمكاناتهم وقدراتهم الكامنة في دواخلهم، إلى مختلف المجالات من خلال معالجتها بطريقة صحيحة. وإن المبدأ الأساس في تأهيل الأطفال الموهوبين اليوم، هو نموذج "تنمية المهارات".

الطريقة في تعليم الموهوبين

يعتمد تعليم الموهوبين والمتفوقين في العديد من البلدان، على معايير تقليدية مثل معامل الذكاء. وفي حال أنه يمكن اكتشاف المواهب في العديد من المجالات المختلفة، يجب أن تجد هذه المجموعة الواسعة من المهارات، مكانًا في نظام التعليم والتدريب لدينا وفقًا لنموذج تنمية المهارات، ويجب التعامل مع المواهب ودعمها وفقًا لذلك. يأخذ نموذج تنمية المهارات في الاعتبار إمكانات جميع الطلاب، وليس مجموعة من الطلاب فحسب. فإن مبدأ "المساواة" مهم في التعليم، والمساواة لا تعني توفير تعليم موحد لجميع الأفراد؛ لأن هذا لا يعدّ نهجًا عادلاً، بل على العكس من ذلك، يدعو هذا المبدأ إلى ضرورة حصول كل فرد على خدمة عادلة بما يتناسب مع احتياجاته. فالمدرسة التي يتم فيها تلبية الاحتياجات الأكاديمية والنفسية الاجتماعية للطلاب، ويتم اكتشاف إمكاناتهم الفردية ودعمها في بيئة تعليمية مناسبة، هي بلا شك مثالية وعادلة.

ينبغي ألاّ ننسى أن القدرات والمهارات هي مفاهيم ديناميكية؛ كل طفل مختلف وفريد من نوعه، من حيث الاهتمامات والفضول والقدرات العقلية والعلاقات الاجتماعية والاحتياجات العاطفية.. إنها كنوز مخفيّة تنتظر من يكتشفها. ولا يمكن للأطفال الوصول إلى إمكاناتهم الحقيقية، إلا بالطرق الصحيحة.

يمكن تطوير المواهب بالتدريب على المهارات على المدى القصير أو البعيد، لذلك يجب على المعلمين وأولياء الأمور، تعليم وإرشاد أطفالهم إلى طريق النجاح بالعمل الدؤوب، والصبر الديناميكي، والاستخدام المثمر للوقت، بالإضافة إلى إتاحة الفرص والإمكانات لدعم تطوير الأطفال وتنمية قدراتهم.

هناك طرق ونماذج وأساليب مختلفة في تأهيل الأطفال الموهوبين. فإذا أخذنا في الاعتبار قدرات الطلاب واهتماماتهم في مختلف المجالات من الفنون الجميلة إلى العلوم الاجتماعية، ومن الرياضيات والعلوم إلى التكنولوجيا، وجدنا حينها الضرر الناجم عن التعليم الموحد. ففي الولايات المتحدة الأمريكية، يؤخذ التباين في اهتمامات الطلاب وقدراتهم في الاعتبار بشكل منهجي منظم، وذلك بدءًا من مراحل ما قبل المدرسة.. فيُمنح الطلاب الذين يكملون عددًا من الدروس في المناهج المدرسية بسرعة وبنجاح عن أقرانهم، تعليمًا في فصول خاصة؛ حيث يتم تطبيق مناهج مضغوطة خاصة بهم.

فالطلاب الذين هم على مستوى مماثل من الموهبة والقدرات؛ لديهم الفرصة لضمهم في البرامج التعليمية المختلفة، مثل مجموعات داخل الفصل، والفصول الخاصة بدوام جزئي أو بدوام كامل، والمدارس الخاصة.. هذه الاحتمالات قد تختلف من مدرسة إلى أخرى، اعتمادًا على الهيكل الديموغرافي، وملف تعريف الطالب، والبنية التحتية للمدرسة، ومجلس الإدارة والمعلمين، وآراء أولياء الأمور. بالإضافة إلى ذلك، تقدم المؤسسات التعليمية -بما في ذلك الجامعات- تأهيلاً عمليًا للمهن المستقبلية في فصول العطلة الأسبوعية والمدارس الصيفية.. فالطلاب الذين تتراوح أعمارهم بين ١٤-١٥ عامًا، لديهم الفرصة ليصبحوا طلابًا جامعيين، من خلال الخضوع لبرنامج انتقال سريع مدته عام واحد.

hiragate.com

تحديد الأطفال الموهوبين

مسألة أخرى مهمة هي تحديد الأطفال الموهوبين. هذه المرحلة مهمة جدًا لتوفير البيئات التعليمية التي يحتاجها الطلاب. ومع ذلك، ينبغي ألاّ ننسى أن هذا الأمر يحمل معه بعض المخاطر؛ إن البالغين الذين ليسوا على دراية بالموضوع، والذين لا يفهمون شخصية الأطفال الموهوبين، يرتفع سقف توقعاتهم من هؤلاء الأطفال بشكل زائد، وهذا الوضع يخلق عنصر ضغط نفسي على الأطفال. بالإضافة إلى ذلك، فإن تصنيفهم على أنهم "موهوبون"، يمكن أن يتسبب في استبعادهم من قبل أقرانهم، مما يتسبب في أضرار جسيمة على الصعيدين النفسي والاجتماعي. من المستحسن أن الخدمات المقدمة من أجل حل هذه المشاكل وما شابهها، ينبغي أن تركز على الموهبة والاستعداد وليس الفرد. على سبيل المثال، يدعو نموذج الحلقات الثلاث لـ"رينزولي" (Renzulli) إلى التركيز ليس على الأفراد ولكن على سلوكهم وأدائهم.وهو يزعم أن الموهبة تنبع من تفاعل ثلاث سمات للبنية البشرية:

١- أن يتفوق الطفل على أقرانه في التطور الذهني والمعرفي العام.

٢- أن يكون على مستوى عال من الابتكار أو القدرة على التفكير المتميز في حل المشكلات.

٣- أن يركز كامل طاقته على المسألة التي يتناولها مع القدرة على توقع نتائج المشكلة مسبقًا.

بصفتنا آباء ومعلمين، لدينا مسؤوليات كبيرة في توجيه إمكانات هؤلاء الأطفال، وتغذية عوالمهم الروحية الثمينة بطريقة صحيحة بكلماتنا وسلوكياتنا. علينا ألا نقتل فضولهم ولا حساسيتهم تجاه الأحداث؛ فمن مسؤولياتنا الرئيسية أن نقدم لهم جميع أنواع الدعم، ليكونوا أبطال الروح والمعنى، بينما يؤدون واجبات مهمة كرجال دولة أو أكاديميين أو أطباء أو مهندسين.

تعتبر المناهج والمعايير والاختبارات التي يتم تغييرها كل عام تقريبًا في نظام التعليم اليوم، وكذلك الإصرار على تأهيل نوع واحد من الطلاب، وعجز المعلمين تجاه هذه المشكلات، من أهم المعوقات في اكتشاف المواهب ودعمها. ومن واجبات مجتمع

من أهم غايات نظامنا التربوي والتعليمي، هو تحديد مهارات أبنائنا، وتوجيه إمكاناتهم وقدراتهم الكامنة في دواخلهم، إلى مختلف المجالات من خلال معالجتها بطريقة صحيحة.

التعليم أن يدرس بعناية احتياجات أطفالنا، وأن يقدم أنسب نموذج تعليمي لتطورهم بشكل سليم من خلال العديد من الأبحاث. هذا ويختلف الأطفال الموهوبون في احتياجاتهم الأكاديمية والنفسية الاجتماعية نظرًا لخصائصهم وصفاتهم التي تفوق أقرانهم. غير أن هؤلاء الأطفال الذين لا تؤخذ إمكاناتهم بعين الاعتبار، ولا يتم تلبية احتياجاتهم بطريقة صحيحة، يستسلمون للفشل والتعاسة. فإن لم يتم توفير الظروف المواتية لتطورهم في البيئة الأسرية والمدرسية، فمن المحتمل أن يواجهوا العديد من الصعوبات في حياتهم.

من الأهمية بمكان أثناء الحديث عن أهمية تعليم الأطفال الموهوبين، التأكيد على حقيقة أن جميع الأطفال يتمتعون بمواهب قيمة. وإن تربية أبنائنا هي -بلا شك- عامل مهم في تكاملهم وسعادتهم، وفي استعادة بلادنا مكانتها الجديرة بها بين الدول.

فقد أصبح العالم اليوم قرية صغيرة، وأصبحنا نسمع أصوات المحتاجين عن كثب، فإن تقديمنا الدعم للحملة التعليمية على نطاق واسع هو وفاء بالدَّين لمعماري عالم روحنا. إن أبطال العلم والفكر الذين هم الورثة الحقيقيون للأرض، سيخرجون من جغرافية واسعة من قلب إفريقيا إلى سهول منغوليا، وسيعيدون إحياء عالمنا القديم المنهك. نكن كامل الاحترام والولاء للمعلمين والمدربين والإداريين المخلصين والمتفانين من أجل هذه الغاية السامية، والذين يعملون كبستانيين لأغلى الزهور في جزر السلام. ■

(*) جامعة ولاية فالدوستا / الولايات المتحدة. الترجمة عن التركية: خالد جمال عبد الناصر زغلول.

hiragate.com

المنحى العام

- حراء مجلة علمية ثقافية أدبية تعنى بقراءة الكون والإنسان والحياة من منظور قرآني حضاري إنساني.
- تهدف إلى بناء الإنسان المتوازن علميًّا وفكريًّا وسلوكيًّا.
- تسعى إلى أن تكون إضافة نوعية مفيدة في الساحة الثقافية شكلًا ومضمونًا.
- مجلة حراء ملتقى للفكر الإيجابي الحضاري البنّاء.
- تنطلق من رؤية حضارية تستمد طاقتها من ثراء الخبرة التاريخية للأمة الإسلامية والأسرة الإنسانية لمعالجة قضايا الواقع واستشراف آفاق المستقبل.
- تسعى إلى معالجة المعارف الإنسانية من منظور تآلفي بين العقل والقلب، والعلم والإيمان، والفرد والمجتمع، والروح والمادة، والنظري والتطبيقي، والمحلي والعالمي، والأصالة والمعاصرة.
- تحرص على الصحة في المعلومة، والإيجابية في الطرح، والعمق في التحليل، والإثارة في الكتابة، والحرية في التعبير مع احترام المقدسات والخصوصيات، والالتزام بالمبادئ الأخلاقية والقيم الإنسانية المشتركة، والإنصات إلى الآخر، والانفتاح على الحكمة الإنسانية حيثما كانت، والحوار البنّاء الذي يخدم الإنسان ويفيده؛ كما تحرص على الابتعاد عن الإقصاء والاستفزاز والإساءة والعنف والتطرف والسطحية والسلبية فيما تنشر.
- تهدف إلى الجمع بين عمق الفكرة، وجمالية الصياغة، وبساطة العبارة، ووضوح المعنى في أسلوب الكتابة.

معايير النشر

- أن تكون المادة المرسلة جديدة لم يسبق نشرها.
- ألا تتجاوز عدد الكلمات ٢٠٠٠ كلمة. وهيئة التحرير لها الحق في التصرف تلخيصًا واختصارًا.
- المادة المرسلة تخضع لتحكيم لجنة علمية استشارية، ولهيئة التحرير أن تطلب من الكاتب إجراء تعديلات على المادة قبل إجازتها للنشر.
- المجلة تحتفظ بحقها في نشر النصوص وفق خطة التحرير وطبقًا للتوقيت الذي تراه مناسبًا.
- للمجلة الحق في أن تكتفي بنشر المادة المرسلة إليها في موقعها على الإنترنت دون استئذان كاتبها ما لم يؤكد الكاتب أثناء الإرسال رغبته في النشر في المجلة الورقية حصريًّا. علمًا بأن ما ينشر إلكترونيًّا لا يترتب عليه أي مكافأة مالية.
- المجلة تلتزم بإبلاغ الكتاب بقبول النشر، ولا تلتزم بإبداء أسباب عدم النشر.
- للمجلة حق إعادة نشر المادة منفصلة أو ضمن مجموعة من المقالات بلغتها الأصلية أو مترجمة إلى لغة أخرى دون استئذان صاحب المادة.
- المقالات المنشورة في مجلة حراء تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
- مجلة حراء لا تمانع في النقل أو الاقتباس عنها شريطة ذكر المصدر.
- مجلة حراء ترجو كتابها الأكارم أن يرسلوا مع المادة نبذة مختصرة عن سيرتهم الذاتية مع صورة واضحة لهم.

ترسل جميع المشاركات إلى البريد الآتي: hiragate@yahoo.com

حراء
مجلة علمية ثقافية أدبية
www.hiragate.com

مجلة علمية ثقافية أدبية
تصدر كل شهرين عن دار الانبعاث للنشر والتوزيع

رئيس التحرير
هانئ رسلان

مدير التحرير
إسماعيل قيار

سكرتير التحرير
عبد السلام كمال أبو حسن

الإخراج الفني
محمد أشرف

منسق الاشتراكات والتوزيع
علاء الكوابري
+201000780841

نوع النشر
مجلة دورية تصدر كل شهرين

الطباعة
دار الجمهورية للصحافة

رقم الإيداع
٢٤٢٦١

ISSN 2357-0229-81

IRAQ
Kani Irfan Publishing English Village N°9 / Erbil
Phone: +964 750 713 8000
hiragate@yahoo.com

USA
Tughra Books
345 Clifton Ave.، Clifton، NJ، 07011، USA
Phone: +1 732 868 0210
Fax: +1 732 868 0211
hiragate@yahoo.com

EGYPT
٢٢ ج جنوب الأكاديمية، التجمع الخامس، القاهرة الجديدة، القاهرة.
اشتراك وتوزيع هاتف: +201000780841
hiragate@yahoo.com

NIGERIA
Nusret Educational And Cultural Co. Ltd.
Aguiyi Ironsi St. No: 77/B Maitama - Abuja
Phone: +2349030222525
hiragate@yahoo.com

للتواصل مع إدارة المجلة | hiragate@yahoo.com
+2 01094338182

مركز التوزيع: دار الانبعاث | daralinbiath@gmail.com | 00201023201002
www.souq.com
مكتبة الشروق | Shorouk Bookstores | مكتبة فكرة ستي ستارز

حراء
مجلة علمية ثقافية أدبية
www.hiragate.com

بسمة النور

عالم زاه بألوان بهيجة كجناحات الفراشات الندية
وأمانٍ تبعث الحلم إلى بسمات النور في الروح الزكية
نحو هذا أولياء الحق ساروا منذ أزمان بهمّات علية

***

ISSN 2357-0229
81
9 772357 022004
www.hiragate.com